ملامح النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام ـ النظرية والتطبيق ـ دراسة وصفية تحليلية

المهدي مأمون أبشر*

المستخلص

هدف هذا البحث إلى التعرف على النظرة النبوية إلى الشعر المتمثلة في سنته القولية والفعلية والتقريرية ، وفي بيان آرائه في نماذج من الشعر الذي استمع إليه، وآرائه في بعض الشعراء، ومدى تقديره ﷺ للشعر الذي يتبع الحق ولم يكن فيه عداء للإسلام، واتخاذه شعراء يردون على شعراء المشركين ويدافعون عن الإسلام وتناول البحث أيضاً آراء صحابته وخلفائه في الشعر مثل عمر (رضي الله عنه) انطلاقاً من تلك النظرة النبوية للشعر، كما تناول بعض صور نقد الشعر ممن أتى بعدهم في صدر الإسلام وموافقة الحق، وكذلك الصدق الفني إلى جانب مقاييس تتصل بالجانب الفني الجمالي، كما وجد الباحث نواة فكرة الموازنة بين الشعراء.

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي . واتضح من البحث أن مقاييس نقد الشعر آنذاك كان أهمها مقياس الصدق.

ABSTRACT

This research dealt with the attiude and views of the prophetic and implied,practical,declarative (Sunna), statement of his views in the forms of poetry who listened to him, and his views on some of the poet ,and the extent of appreciation (peace be upon him) for the poetry, which followed the right was not hostility to Islam, and taken poets responding to the poets of the infidels and to defend Islam. The research also views his companions and his successors in the poetry , such as, Umar (may Allah be pleased with him) from that view of the prophet's poets , also addressed some of the pictures poetry criticism of those who came after them in the beginning of Islam and the consent of the right , as well as honesty rich. besides standards relateing to the aesthetic side of the rich, as we found the nucleus of the idea of a balance between the poets.

The search follow descriptive analytical method. It was clear from the research that measures of poetry criticism at time was the most important measure of honesty.

الكلمات المفتاحية :

الحسن – القبيح – الحق – الصدق .

* قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الخرطوم

المقدمة

موقف الرسول ﷺ من الشعر:

قبل الحديث عن صور النقد الأدبي في صدر الإسلام والمقاييس النقدية في نقد الشعر آنذاك يجدر بنا أن نعرض بإيجاز موقف الرسول ﷺ من الشعر ونظرته إليه إذ إنّ هذه النظرة كان لها الأثر العميق في نقد الشعر في ذلك العصر وما تلاه من عصور. ولعّل أول ما نشير إليه في ذلك تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في شأن الشعر وبعض الشعراء، والتي يمكن استنباط ما فيها من آراء نقدية قُصد بها التوجيه والإرشاد الديني أكثر مما قُصد بها النقد الأدبي في حدّ ذاته.

ونظرة الرسول ﷺ إلى الشعر لا تخرج عن رؤية القرآن الكريم ومبادئ الدعوة الإسلامية في نشر الفضيلة والدعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى والعمل على تمكين الدين الإسلامي في الأرض والتنفير من الرذيلة والشر والظلم وإثارة الإحن والأحقاد، والتحذير من الكفر والشرك والفسوق والعصيان.

وكان الرسول ﷺ يعلم أنَّ الشعر يجري في دماء العرب باقٍ فيهم، فقد روي عنه قوله: (لا تدعَ العرب الشِعر حتى تدعّ الإبل الحنينْ)[1]

وهذا الحديث الشريف يضع قضية الشعر في إطار الواقع الذي يكون التعامل معه ضربة لازب. وهي نظرة عامة يأتي بعدها تفصيلٌ تبعاً لنوعية الشعر. فهناك الشعر الحسن وهناك الشعر القبيح، وتنصبّ النظرة النبوية للشعر في هذين الإطارين، وهذا ما تدلنا عليه أحاديثه ﷺ في هذا الشأن ومواقفه من بعض الشعراء وإشاراته حول بعض القصائد والأبيات، وفي أثناء ذلك كله نبصر أثر الشعر وتوظيفه في الدعوة إلى تعاليم الإسلام.

اتجاهات الشعر وأثره في الحياة العربية:

وأول ما يطالعنا في هذا الباب قوله ﷺ: (الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام)[2]

وكذلك قوله: (الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما خالفه فهو قبيح)[3] وهذا الحديث نلمح فيه ما يدخل في الناحية الفنية بجانب الناحية الخلقية، إذ نجد فيه إشارة لطيفة إلى تحديد الشعر وتمييزه من سائر الكلام وذلك في قوله: (كلام مؤلف)

كما نلمح هذه الناحية الفنية في قوله ﷺ في حديث أخر، فقد وصف الشعر بأنه (سجعٌ من كلام العرب) إلى جانب إشارته إلى أثره الاجتماعي، فقد جاء في الحديث: (إن هذا الشعر سجع من كلام العرب، به يعطى السائل، وبه يكظم الغيظ، وبه يؤتى القوم في ناديهم)[4] ولا يخفى علينا أنَّ هذا أدخل في باب الشعر الحسن. ونجد عند رسول الله ﷺ تقديراً لقيمة الشعر ورفع مكانة الشاعر الذي يلتزم بذلك الشعر الحسن، فقد رُوي عنه قوله: (الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم)[5]، ويتجلى هذا التقدير في حضه ﷺ على إجازة الشاعر، بل إنّ ذلك مما يُثاب عليه المرء، نلمح ذلك في قوله: (إعطاء الشعراء من بر الوالدين)[6] وقد قرن ﷺ بين الشعر والحكمة

---

(١) الزبيدي، مرتضى(د.ت) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،ج٧، دار الفكر، بيروت ، ص٥٩٥

(٢) الزمخشري ، محمود بن عمر(د.ت) الكشاف، دار المعرفة، بيروت، ص١٣١، والزبيدي، إتحاف السادة المتقين، المرجع السابق ج٧، ص٤٩٣

(٤) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ص١٣١

(٥) الشيباني، الشافعي الإمام عبد الرحمن(د.ت) تمييز الطيب من الخبيث ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٩٣ ، قصاب، وليد(١٩٨٧) نصوص النظرية النقدية، المكتبة الحديثة، ص٤٨.

(٦) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(١٤٢٠هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،

حيث رُوى عنه: (إنَّ من الشعر لحكْمــه) أو: (إنّ من الشعر لحُكْما)[٧] ويعلق ابن الأثير على هــذا الحديث بقوله أنه يعني أَنّ من الشعر ما يشــتمل على الموعظة الحسنة التى تنهى عن الرذيلة، أو أنّ فيه العلم والمعرفة والفقه والعدل، على رواية (إنّ من الشعر لحكما)[٨]

وإذا كان الشعر بهذه المكانة فــي نظــره (ﷺ) ، وإذا كانت العرب لا تتركه كما أشار من قبل، فقد أذن لأصحابه في استماعه والخوض فيــه، كمــا استمعه هو وأثاب عليه، فقد رُوي عن جابر بــن سمرة قوله (جالست النبي ﷺ أكثر من مئة مــرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهــو ســاكتٌ، فربّمــا تبســم معهم)[٩] وهذا الخبر له دلالته في أن المســلمين الأوائل لم يشغلهم شيء عن الخوض في الشــعر في مجالسهم بل كان ذلك يحدث كثيراً منهم، ولعّل في الخبر ما يجعلنا نتوقف فيما ذكره ابن ســلام الجمحي ومن بعده ابن خلدون مــن أنّ العــرب تشاغلت عن الشعر بالإسلام والقرآن. ونعود إلى ما كنا فيه من إذنه ﷺ لأصحابه في إنشاد الشــعر وسماعه، فقد رُوي عنه أنه كــان يعجبــه شــعر الخنساء، وكان يستنشدها ويقول: (هيــه يا خناس، ويومي بيده ﷺ[١٠]) هذا إلى جانب سماعه لشعراء آخرين سيأتي ذكرهم في حينه.

وسنرى هذا الإذن واضحاً في الأمثلة التطبيقية في النقد النبوي للشعر كما جاءتنــا بــه الأحاديــث الشريفة وأخبار السيرة النبويــة علــى صــاحبها أفضل الصلاة وأتّم التسليم.

وفي المقابل نجد موقفاً نبوياً مغايراً لهــذا، وهــو موقفه من (الشعر القبيح) فقد جاء فــي الحــديث: (مَنْ تعلّم صَرفَ الكلام ليَسبْى به قلوب الرجال – أو الناس – لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)*[١١] وفي حديث آخر (لأن يمتلــئَ جــوفُ أحدكم قيحاً حتــى يريــه خيٌــر مــن أن يمتلــئَ شعراً)[١٢] والمقصود من ذلك – كما يــرى ابــن رشيق – (مَنْ غلبَ عليه الشعرُ نفسه حتى شــغله عن دينه)[١٣] وفي حديث أخر (مَنْ قرضَ بيــت شعْرٍ بعد العشاء الآخرة لم تُقبل منه صلاة تلــك الليلة)[١٤] وهذا كما يُرى نهي مؤقت عن قــول الشعر حتى يبيت المؤمن على ذكر الله ســبحانه وتعالى. ومما لحقه النهي – وهو من الشعر القبيح – شعر الهجاء، وهو مما شدد في التحــذير منــه

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١،ج١، ص٧٩.

[٧] ابن رشيق، أبو علي الحسن(١٩٣٤م) العمدة في محاسن وآدابه ونقده، تحقيق محمود محمد شاكر، د.ن، القاهرة، ص٤، والزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ص٤٩٤ ، البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(د.ت) صحيح البخاري، تقديم: الشيخ أحمد محمد شاكر، ج٨، دار الفكر مصورة عن طبعة دار الطباعة، استنبول، ص٤٢.

[٨] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج١، مرجع سابق، ص٤، والزبيدي، إتحاف السادة المتقين، مرجع سابق، ص٤٩٤ وصحيح البخاري، ج٨، مرجع سابق، ص٤٢.

[٩] الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، مرجع سابق، ج٦، ص٤٨، وج٧، ص٤٩٤

[١٠] الجرجاني، عبد القاهر(١٩٦٩م) دلائل الاعجاز، القاهرة، ص١٨

(*) هناك رواية أخرى للحديث (أن يمتليء شعراً هجيت به) والله اعلم.

(١١) أبو داود، سليمان بن الأشعث(د.ت) سنن أبي داود، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٢١٥ نقــلاً عــن قصــاب، نصــوص النظرية النقدية، مرجع سابق، ص٥٤.

[١٢] صحيح البخاري ج٨، مرجع سابق، ص٤٥.ابن رشيق ، العمدة، مرجع سابق، ص٣١، والزبيدي، إتحاف السادة، مرجع سابق، ص٤٩٣،.

[١٣] ابن رشيق، العمدة، مرجع سابق، ص٣١.

[١٤] ابن كثير، اسماعيل (١٩٩٨م) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ط٨، دار الحديث القاهرة ، ص٥٥٧.

الرسول ﷺ، ففي الحديث (إنّ أعظم الناس جرماً إنسانٌ شاعرٌ يهجو قبيلة من أسرها، ورجل تنفَّي من أبيه)[١٥] وفي حديث آخر: (مَنْ قال في الإسلام شعراً مُقْذعاً فلسانه هَدَر)[١٦] ويؤكد هذا النهي قوله ﷺ : (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)[١٧]

هذه الأحاديث الشريفة وغيرها مما فاتنا ذكره تمثل أساس النظرية في رؤية النبي ﷺ للشعر وفي نقد الشعر في صدر الإسلام وما تلاه من عصور.

أمثلة تطبيقية:

ولننظر الآن في بعض النماذج التطبيقية في نقد الشعر بشقيه الحسن والقبيح، وذلك كما جاءتنا به الأحاديث والأخبار والسيرة النبوية الشريفة.

وقد ألمحنا من قبل إلى تفهم النبي ﷺ لأثر الشعر في المجتمع العربي آنذاك وملازمته للحياة العربية وعدم انفكاكه عنها، كما ألمحنا إلى إمكانية توظيفه في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه.

روي عن عمار بن ياسر (رضي الله عنه) إنه قال: (لما هجانا المشركون قال لنا رسول الله ﷺ: (قولوا لهم كما يقولون لكم)[١٨] وفي حديث آخر يرويه كعب بن مالك (رضي الله عنه) عن الرسول ﷺ: (أهجوا المشركين بالشعر، فان المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحوهم بالنبل)[١٩] وقد انتدب رسول الله ﷺ شعراء ينافحون عنه ويردون على شعراء المشركين، وقام بهذا العمل خير قيام حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه (رضي الله عنهم). وبلغ من اهتمامه ﷺ بذلك أنه كان يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقف عليه قائماً يفاخرُ عن رسول الله ﷺ الذي قال: (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ما ينافح عن رسول الله ﷺ[٢٠]

والشعر عامة وهجاء المشركين خاصة والرد عليهم يحتاج إلى معرفة وثقافة لا بد للشاعر أن يلم بها، وهذا ما يتضح لنا من توجيه الرسول ﷺ لحسان بن ثابت لكي يذهب إلى أبي بكر (رضي الله عنه) ليدله على المعاني التي توجع المشركين من قريش، فقد أمره بقوله: (اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك) وفي رواية أخرى: (يا حسان، فأتِ أبا بكر، فإنه أعلم بأنساب القوم منك). فأتى حسان أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله ﷺ فقال: كف عن فلانة واذكر فلانة... ولما أَنشدّت قريش شعر حسان، قالت: إنّ هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة..[٢١]

ونضيف إلى ذلك ما يراه بعض الباحثين من أن طلب الرسول ﷺ من حسان أن يذهب إلى أبي بكر ليستعين به في معرفة حقيقة القوم إنما يُقصد

---

[١٥] البخاري، محمد بن إسماعيل(١٩٨١م) الأدب المفرد، تحقيق: محمد هشام البرهاني ، وزارة العدل والشؤون والأوقاف، أبو ظبي، ص٣٨١ نقلاً عن د. وليد قصاب، ص٥٢

[١٦] ابن رشيق ، العمدة ، ج٢، مرجع سابق، ص١٧٠.

[١٧] علي بن ابي بكر، الهيتمي(١٩٨٦م) مجمع الزوائد ، ج١، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ص١٠٢

[١٨] ابن عبد ربه، عمر أحمد(١٩٤٠م) العقد الفريد، ج٥، القاهرة ، ص٢٨١

[١٩] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص٣١٤.

[٢٠] وصحيح البخاري ج٨، مرجع سابق، ص٤٤، أبو الفرج الأصفهاني، الاغاني،ج٤، مرجع سابق، ص١٤٦، والزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج٦، ص٤٨٠، وج٧، ص٤٩٤.

[٢١] أبو الفرج الأصفهاني، الاغاني، ج٤، مرجع سابق ، ص٣٨-٣٩.

به التحري والصدق في هجاء المشركين، وعدم التجني أو الإسراف في هذا الهجاء أو تلفيق العيوب، وهو نهج إسلامي جديد كان أثره واضحاً في القوم[٢٢] وهو ﷺ كذلك يريد من حسان أن يعرف المعاني التي توجع القريشيين دون أن تصيب الرسول ﷺ برشاشها. ولعل ما يؤكد هذا المعنى الأخير هو ما روي عنه ﷺ من أنه قال لحسان متسائلاً: كيف تهجو قريشاً وأنا منهم؟ فقال أسلك منهم كما تُسلّ الشعرةُ من العجين[٢٣]

وقد وجدت شاعرية حسان ودفاعه عن الإسلام تقديراً عظيماً لدى رسول الله ﷺ ، فقد أثنى عليه وعلى كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه، بيد أن حسان كان مقدماً عنده في هذه الشاعرية[٢٤] وجاء في الحديث: (أمرت عبد الله بن رواحه فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسنَ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى)[٢٥] وكافأه كثيراً على هذه الشاعرية ومن ذلك إهداؤه سيرين. وقد كانت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) تقدر لحسان تلك الشاعرية إذ قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان:

هجوت محمداً فأجبت عنهُ
وعند الله في ذاك الجزاء
فإنّ أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولست له بكفءٍ
فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه
وبحري لا تكدرُه الدلاء[٢٦]

وقد قضى له رسول الله ﷺ بالجنة مرتين وذلك بسبب شعره، فحين قال في تلك القصيدة: (وعند الله في ذاك الجزاء) قال له: (جزاؤك الجنة يا حسان). وحين أنشده: (لعرض محمد منكم وقاء) دعا له بقوله: (وقاك الله حرَّ النار).[٢٧]

وقد كان لتفوق حسان على شاعر وفد تميم في حضرة النبي ﷺ واعترافهم بهذا التفوق، أثرٌ في دخولهم الإسلام إذ تبين لهم بأن رسول الله ﷺ كان مؤيداً من الله سبحانه وتعالى، فخطيبه أخطب من خطيبهم وشاعره أشعر من شاعرهم كما قالوا.[٢٨]

وقد كان حسان موفقاً في هجائه شعراء قريش من المشركين، وقد ذكرنا من قبل كيف أنه حرص ألا يصيب رسول الله ﷺ شيء من ذلك، بينما نجد صاحبه ابن رواحه لم يكتب له التوفيق في بيت من شعره حين أنشد في هجاء قريش:

فخبروني أثمان العباءة متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مُضَرُ

قال: (فعرفت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ إذ جعلت قومه أثمان العباءة)، فقلت:

نجالد الناس عن عرض فناسرهم
فينا النبي، وفينا تنزل السورُ
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا
حي من الناس إن عزّوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلاً ما له غير
فثبت الله ما آتاك من حسن

---

[٢٢] أحمد يوسف (١٩٨٣م) نشأة النقد الأدبي حتى نهاية القرن الأول الهجري، القاهرة، ص٤٦

[٢٣] المرجع السابق، ص٤٧، والزبيدي، اتحاف السادة، مرجع سابق، ج٦، ص٤٨٠، وصحيح البخاري ج٨، مرجع سابق، ص٤٤

[٢٤] أحمد يوسف، نشأة النقد الأدبي، ص٤٧. الاغاني، ج٤، مرجع سابق، ص١٤٣.

[٢٥] أبو الفرج الأصفهاني، الاغاني، ج٤، مرجع سابق، ص١٤٣.

[٢٦] ابن كثير ،ج٣، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص٢٦٤.

[٢٧] ابن رشيق، العمدة،ج١، ص٥٣، وعز الدين الامين، (١٩٦٥م) طلائع النقد العربي ط١، د.ن، الخرطوم، ص٥١

[٢٨] أبو الفرج الأصفهاني، الاغاني ج٤، ص١٦٤، و ابن هشام، عبد الملك، (١٩٩٢م) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، بيروت.

تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فأقبل عَلَيَّ مبتسماً، وقال: (وإيّاك فثبَّتَ الله)[٢٩]

وقد كان ﷺ يعجبه شعر ابن أبي رواحه، ويقول إذا سمعه: (إن أخاكم لا يقول الرفث..)[٣٠] وروي عنه انه تمثل بشعره يوم الخندق، وذلك:

لاهُمَّ لولا أنت ما اهتدْينا
ولا تصدقْنا ولا صـــلينا[٣١]

وهناك مواقف أخرى تدل على تشجيعه ﷺ على قول الشعر الحسن وسماعه، فمما رُوي عنه في ذلك قوله لحسان: هل قلت في أبي بكر مثلاً؟ قال: نعم. قال: قل وأنا أسمع. فقال حسان:

وثاني اثنيْن في الغار المُنيف وَقد
طــاف العدو به إذ يَصعَدُ الجَبلا
وكــان ردْف رسول الله قد علموا
مــن البـرّيه لم يَعـدل به رَجُلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: (صدقت يا حسان هو كما قلت)[٣٢]

وكان يشجع الشعر الذي يتلاءم مع روح الإسلام ومكارم الأخلاق، والشعر الذي يخدم الدعوة الإسلامية. فحينما أُنْشِدَ قول سحيم:

الحمد لله حمداً لا انقطاع له
فلـيس إحســانه عنّا بمقطوع

قال: (أحسن وصدق، فإن الله ليشكر مثل هذا، وإن سدّد وقارب إنه لمن أهل الجنة)[٣٣]

ومن ذلك أيضا تمثله ﷺ ببعض الأشعار التي تظهر فيها المعاني الإسلامية، مثل أبيات ابن أبي رواحه التي أنشدها يوم الخندق، وقد أشرنا إلى ذلك.

ويروى عنه أنه قال: حين أُنْشِدَ قول طرفة(ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ): (أن معناه من كلام النبوة)[٣٤]. وقال عن بيت لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) قال: (أنه أصدق كلمة قالتها العرب)[٣٥]

والإشارة إلى الصدق هنا في الحكم على هذا البيت تؤيد ما ذكرناه من أنّ مقياس الجودة في الشعر يقوم على قاعدة الصدق وموافقة الحق. وقد صرح بهذا المعنى حسان بن ثابت حين قال:

وإنما الشعـرُ لبُّ المرءِ يعــرضه
على المجالس أن كيْساً وإنْ حُمُقا
وإنَّ اشــعر بيــت أنـت قـــائله
بُيْــتٌ يُقال– إذا أنشدته-صدقا[٣٦]

وقد كان الشعر وسيلة إعلامية مهمة في نشر دعوة الإسلام، والدفاع عنه، وليس أدل على ذلك من اتخاذه ﷺ شعراء ليردوا على شعراء المشركين كما أشرنا إلى ذلك. ومواقفه ﷺ التشجيعية على مثل ذلك الشعر وردت بها الأخبار في كتب السيرة والأدب. ويدخل في هذا الباب شعر حسان بن ثابت وابن رواحه وكعب بن مالك الذي قال له رسول الله ﷺ ذات يوم: (ما نسي

---

[٢٩] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، مرجع سابق، ص٢٨٠– ٢٨١، و نصر، محمد إبراهيم،(١٣٩٨هـــ) النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، د.ن، ص١٤١.

[٣٠] صحيح البخاري ج٨، مرجع سابق، ص٤٤. 26.

[٣١] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٣، مرجع سابق، ص٥٥٦– ٥٥٧، والزبيدي، مرجع سابق، اتحاف السادة، ج٦، مرجع سابق، ص٤٨٠.

[٣٢] أحمد يوسف، نشأة النقد الأدبي، مرجع سابق، ص٤٧. 28.

[٣٣] السيوطي، جلال الدين(د.ت) شرح شواهج المغني،ج١، لجنة التراث، بيروت، ص ٣٢٧ نقلاً عن د. وليد قصاب، نصوص النظرية النقدية، مرجع سابق ص٥٦. 29.

[٣٤] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، مرجع سابق، ص٣٧. مراجع سابقة 30.

[٣٥] ابن رشيق، العمدة، ج١ ص٤ وصحيح البخاري، ج٨، ص٤٣. 31.

[٣٦] ابن رشيق ،العمدة ج١، مرجع سابق، ص١١٤. 32.
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف(١٩٦٢م) بهجة المجالس وأنس الجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ج٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ص٦٣.

ربك وما كان ربك نسياً شعراً قلته) ويقصد به قول الشاعر:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها
وليغلبن مغالب الغلاب[٣٧]

وقد يوجه ﷺ الشاعر إلى تعديل اللفظ أو إصلاحه حتى يتلاءم الشعر والمعاني الإسلامية، ومن ذلك قوله لكعب بن زهير حين أنشده:

إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به
مهندٌ من سيوف الهند مسلولُ

فقال له: (من سيوف الله مسلول). فأصلحه كعب[٣٨]

وكذلك حين سمع قول كعب بن مالك:

مُقاتِلُنا عن جِذمِنا كلَّ فحمةٍ
مذرَّبَةٍ فيها القوانس تَلمعُ

فقال له: (لا تقل عن جذمنا ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا)[٣٩] وأنشده النابغه الجعدي (رضي الله عنه):

بلغنا السماء مجدنا وتكرما وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال له: وأين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة بك يا رسول الله. فقال: إن شاء الله. ثم قال له: أنشدني. فأنشد:

وَلا خَيْرَ في حلْم إذا لم تكن له
بوادرُ تحْمي صَفوه أنْ يُكدّرا
وَلا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يكن لهُ
حليمٌ إذا ما أوْرَدَ الأمرَ أصْدرا

فقال له النبي ﷺ: (لا يفض الله فاك)، فبقيت أسنانه ترفّ حتى مات.[٤٠]

والأبيات لا تتصل مباشرة بالمعاني الدينية، والأول منها بصورة خاصة قد يبتعد عن تلك المعاني لما فيه من فخر، ونُحِسّ هذا البعد في تساؤل النبي ﷺ حين قال للشاعر: وأين المظهر يا أبا ليلى؟ أما البيتان التاليان فمصدر الإعجاب بهما هو ما اشتملا عليه من حكمة إنسانية عامة وما فيهما من التعبير الفني الرائع والقيم الجمالية، هذا الإعجاب الذي عبر عنه الرسول ﷺ بدعائه للشاعر بقوله: (لا يفض الله فاك).

وهذا الإعجاب بقيم أخرى في الشعر غير تلك القيم الدينية أو قل القبول لذلك الشعر نلمحه في قصيدة كعب بن زهير المشهورة والتي مدح بها النبي ﷺ واعتذر له فيها عما بدر منه، ومعلوم أن تلك القصيدة قد تضمنت النسيب، فلم يكن هذا مانعاً من قبولها ومكافأة الشاعر عليها كما هو مشهور.

ومن هذا الضرب، ما رواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ جلس في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني:

أتعرف رسمْاً كأطراد المذاهب
لِعَمْرةَ وَحْشَاً غير موقفِ راكب

فانشده بعضهم إيَّاها، فلما بلغ قوله:

أجالِدهمْ يَوْمَ الحديقة حاسِراً
كأن يدي بالسيف مِخراقُ لاعبِ

فالتفت إليهم رسول الله – ﷺ–، فقال: (هل كان كما ذكره؟) فشهد له ثابت بن قيس بن شماس، وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد

---

[٣٧] الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص١٢، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٨١، وابن هشام، السيرة،ج٣، ص٢٠٥، مراجع سابقة.

[٣٨] المرزباني، أبو عبيد الله محمد (١٩٦٠م) معجم الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، البابي الحلبي، مصر، ص٢٣١.

[٣٩] الأصفهاني، الاغاني، ج١٦، ص٢٣٣، وابن هشام ، السيرة، ج٣، ص١٠٦، مراجع سابقة.

[٤٠] القرشي، محمد بن الخطاب(١٩٨٢م) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٢٦، الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص١٦، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٧٨، والزبيدي، اتحاف السادة،ج٦، ص٤٨٠. مراجع سابقة.

خرج الينا يوم سابع عرسه، عليه غلالة وملحفة موَرَّسَة، فجالدنا كما ذكر[٤١] وهذه القصة عميقة الدلالة على موقف رسول الله ﷺ من الشعر، فهو الذي استنشد شعراً فيه ذكر لما كان من حروب الماضي، الذي جمد فلم يعد يثير إحناً، وهو يهتز للتصوير الحركي الجيد، وتعجبه الصورة ولكنه يتساءل عن مدى تعبيرها عن الواقع (هل كان كما ذكره) وفي هذا الموقف دلالته وهي التفطن لمعنى صدق التجربة، والبعد عن المبالغة وإيثار تصوير الواقع.[٤٢]

وهذه النظرة المتصلة بصدق التجربة والبعد عن المبالغة، والتي تنادي بالتعبير عن الواقع في بعض الأحكام النقدية، ستطالعنا في العصور النقدية التي تلت تلك الحقبة من عهد النبوة، وقد يكون مصدر الإعجاب في الشعر ما يثيره من عاطفة ومشاعر إنسانية نبيلة، فحينما استمع لقتيلة بنت النضر أو أخته في شأن النضر، قالﷺ: (لو كنت سمعت شعرها ما قتلته)[٤٣]. وقد كان قتله حقاً، ولكن الأبيات أثارت عاطفته – ﷺ–. ويروى أن قتيلة استوقفته وهو يطوف، فجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وانشدته:

أمـحمدٌ ها أنت نجلُ نجيبة
من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتلت وسيلة
وأحقهم إن كان عتق يُعتق

فقال: (لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته)[٤٤] ولا تخلو الأبيات من قيم فنية تتمثل في الرقة ولطف المعنى، وعذوبة اللفظ، وقوة التعبير، وهذا كله من عناصر جودتها إلى جانب ما تثيره من عاطفة حزينة.

وقد التمس رسول الله ﷺ في بعض الأشعار قُرباً من الحق والصواب كالذي رآه في شعر أمية بن أبي الصلت وقال فيه: (كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم)[٤٥] وقال عنه: (آمن شعره وقلبه كفر)[٤٦].

ما ذكرناه من أمثلة يمثل جانباً من جوانب الشعر ألا وهو الشعر الحسن الذي يوافق الحق، وفي مقابل ذلك نجد بعض أمثلة نقدية بالجانب الآخر وهو الشعر القبيح، أو ما خالف الحق.

وأول ما نذكره من ذلك ما روي في شأن الشاعر الجاهلي امرئ القيس. فقد سئل حسان بن ثابت من أشعر الناس؟ فقال: امرؤ القيس. فقيل ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (صدق. رفيع في الدنيا خامل في الآخرة، شريف في الدنيا وضيع في الآخرة، هو قائد الشعراء إلى النار)[٤٧] أو قال: (أشعر الشعراء وحامل لوائهم إلى النار)[٤٨].

---

[٤١] الأصفهاني، الاغاني ج٢، مرجع سابق، ص٣٠٧. .37

[٤٢] عبد الله، محمد حسن(١٩٧٥م) مقدمة في النقد الأدبي، الكويت، دار البحوث العلمية، ص٢٧٩–٢٨٠. .38

[٤٣] ابن رشيق، العمدة، ج١، ص٥٦، وعز الدين الامين، طلائع النقد العربي ، ص٤٨، وأحمد يوسف ، نشأة النقد الأدبي، ص٤٩–٥٠. وابن هشام، السيرة، ج٣، ص٣٦–٣٧، مراجع سابقة. .39

[٤٤] الجاحظ، عمرو بن بحر(١٩٤٨م) البيان والتبيين، ج٤، د.ن، القاهرة ، ص٤٤، والأصفهاني، الاغاني، ج١، ص١٩، وابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج٥، ص٢٧٩، وعز الدين، طلائع النقد العربي، ص٤٨، مراجع سابقة. .40

[٤٥] ابن كثير، ج٣، تفسير القرآن، ص٢٢٧، والبغدادي، عبد القادر(١٩٧٩م) خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢،ج١، مكتبة الخانجي القاهرة ، ص٢٤٩، والأصفهاني، الاغاني، ج٦، ص٤٨٢، وج٧، ص٤٩٤، وصحيح البخاري، ج٨، ص٤٣ مراجع سابقة. .41

[٤٦] المرجع السابق. .42

[٤٧] ابن رشيق، العمدة، ج١، مرجع سابق، ص٧٦. .43

[٤٨] المرجع السابق. .44

ويروى عنه ﷺ أنه قد أبدى إعجاباً بمطلع معلقة ذلك الشاعر[٤٩]. وهذا الحكم بأنه أشعر الشعراء يعني شعراء الجاهلية من المشركين. وقد أستحق امرؤ القيس ريادة أولئك الشعراء إلى النار لما في شعره من فحش ومجون وتهتك، وهو أمر يخالف ما يدعو إليه الإسلام من فضيلة وأخلاق. وهو حكم ينصب على غيره من الشعراء ممن هم على شاكلته على مر العصور. إلا من تاب وعمل صالحاً.

ومما يدخل في باب الشعر القبيح تلك القصائد التي نهى النبي ﷺ المسلمين عن روايتها لما فيها من معارضة للإسلام أو تحريض عليه، أو تنقيص لقدر أحد المسلمين. من ذلك نهيه عن رواية قصيدة أمية بن أبي الصلت التي قالها في تحريض قريش على المسلمين ببدر ورثى فيها قتلى المشركين:

ماذا ببدر والعقنـ قل من مرازبة جحاجحٍ[٥٠]

وكذلك نهيه عن رواية قصيدة عبد الله بن الزبعري والتي قالها قبل إسلامه عقب معركة أحد:

يا غراب البين أسمعت فقل[٥١]

وكذلك قصيدة الأعشى التي قالها في المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، وقد نفر الأعشى عامراً على علقمة، وفضله في أبيات مطلعها:

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

وقد أُنشدت هذه القصيدة أمام النبي ﷺ، وكان علقمة قد أسلم وحَسُن إسلامه، وكان من المؤلفة قلوبهم، فنهى النبي ﷺ عن إنشاد هذا الشعر حين أسلم علقمة.[٥٢]

ومن الشعر الذي عابه النبي ﷺ لابتعاده عن الحق ولم يحالف الشاعر فيه التوفيق، ما روي عنه من أنَّه سمع رجلاً ينشد ويفخر:

إني امرؤٌ حميري حين تنسبني
لا من ربيعة آبائي ولا مُضر

فقال ﷺ له: (ذلك ألأم لك، وأبعد من الله ورسوله).[٥٣] تلك بعض أمثلة من حكمه ﷺ على بعض الأشعار تمثل الجانب التطبيقي للأحاديث التي وردت في شأن الشعر ومما لا شك فيه أن تلك الأحكام والأحاديث وما روي عن أصحابه من ملاحظات حول بعض الأشعار كان لها تأثيرها العظيم في المسلمين في نظرتهم إلى الشعر وتقويم الخصائص الشعرية التي تجد التقدير عندهم.[٥٤]

النقد الأدبي في عهد الخلفاء الراشدين:

ولننظر أولاً في تأثير هذه الأحاديث والملاحظات النقدية النبوية حول الشعر في الصحابة ومن تلاهم. فأول ما نلاحظه اهتمام خلفائه الراشدين بالشعر.

فابوبكر الصديق (رضي الله عنه) تمثل بالشعر لإقناع الأنصار فذكر أبياتاً لطفيل الغنوي.[٥٥] كما روي عنه أنه كان يفضل النابغة الذبياني ويقدمه على غيره من الشعراء ويعلل ذلك بقوله: كان أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً.[٥٦]

---

[٤٩] المرجع السابق، ص١٩١. 45.

[٥٠] الأصفهاني، الاغاني، ج٣، مرجع سابق، ص٣٥٩. 46.

[٥١] الأصفهاني، الاغاني، ج٤، مرجع سابق، ص١٢٢. 47.

[٥٢] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص٦٨ 48.

[٥٣] البيهقي، إبراهيم بن محمد(١٩٧٠م) المحاسن والمساوئ ، دار صادر، بيروت، ص٧٦، نقلاً عن وليد قصاب، نصوص النظرية النقدية ص٥٦. 49.

[٥٤] p34, Cantarino , Vicen (1975) Arbic poetice in the Golden Age , leiden 50.

[٥٥] ثعلب ، أحمد بن يحيي(د.ت) مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط٢، ج٢، دار المعارف، ص٣٩٣.

[٥٦] ابن رشيق، العمدة، ج١، مرجع سابق، ص٧٨. 51.

ولعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان أكثر من روى عنه في نقد الشعر[٥٧] "وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة"[٥٨].
وكان لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[٥٩] وسنرى من ملاحظاته حول الشعر والشعراء وأحكامه عليهم موقفه من الشعر، وسنرى أن هذا الموقف لم يخرج عن توجيه الأحاديث النبويه السابقة ونظرة النبي ﷺ إلى الشعر وموقفه منه، وكذلك إداركه لأثر الشعر في الحياة والمجتمع. وكان عمر وهو يصدر أحكامه على الشعر يلقي بنظره على مفهوم "الشعر الحسن" و"الشعر القبيح" أضف إلى ذلك ذوقه الخاص ونظرته الفنية.
وقد كان عمر ينظر إلى الشعر على أنه من مصادر الحكمة وأصول التربية. وكثيراً ما كان يردد أبياتاً في الحكمة والأمثال مما يشتمل على قيم خلقية. ومما له دلالته على اهتمامه بالشعر ما يروى عنه سؤاله لكعب الأحبار إن كان الأخير قد قرأ ذكراً للشعر في التوراة فرد كعب بقوله إنه قرأ في التوراة أن قوماً من بني إسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة والأمثال. ما كنا نراهم إلا العرب.[٦٠]
ومما يدل على إدراك عمر لأهمية الشعر وأثره في حياة العرب وتأثيره في النفوس قوله: (نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجلُ أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم)[٦١]
وكان يقول: (الشعر من كلام العرب يُسكَّنُ به الغيظ وتطفأ به الثائرة ويتبلغ به القوم في ناديهم، ويُعطى به السائل)[٦٢]
ويروى عنه قوله: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه)[٦٣]
وتبعاً لنظرته الأخلاقية وانطلاقاً من عقيدته الدينية ؛ وتأثراً بالقرآن الكريم وبالنبي ﷺ في موقفهما من الشعر، واعتداده الشعر رافداً من روافد التربية والثقافة نجد توجيهات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حول الشعر تدور في هذا الإطار بجانب إدراكه للقيم الفنية والجمالية التي تحويها بعض الأشعار وتؤثر في النفوس. ولقد كان حفظ الصحابة للشعر وسيلة لتهذيب النفوس ومعرفة الأنساب.
ولننظر في بعض هذه التوجيهات الصادرة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فيما يتصل بالشعر. قال لأبنه عبد الرحمن: "يا بني أنسب نفسك وأمهاتِك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يكثر أدبك، فإنّ من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يعرف الشعر لم يؤدّ حقاً، ولم يقترف أدباً"[٦٤] وقال في موضع آخر: (أرووا من الشعر أعفه، ومن الأحاديث أحسنها، ومن النسب

---

[٥٧] عز الدين الامين ، طلائع النقد الأدبي، مرجع سابق، ص٦١ .52

[٥٨] ابن رشيق، العمدة ج٢، مرجع سابق، ص٣٩٣ .53

[٥٩] الجاحظ، البيان والتبيين ، ج١، مرجع سابق، ص١٣. .54

[٦٠] ابن رشيق، العمدة ،ج١، مرجع سابق، ص١٢ .55

[٦١] الجاحظ، البيان والتبيين ج٢، مرجع سابق، ص١٧١. .56

[٦٢] الراغب الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٨٠، وابن عبد ربه، العقد الفريد ج٥، ص٢٨١، مراجع سابقة. .57

[٦٣] ابن سلام ، محمد (د.ت) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ص٢٤، وابن رشيق، العمدة ج١، مرجع سابق، ص٢٨.

[٦٤] أبوزيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ،ج١، مرجع سابق، ص٢٩، ٣٥، ٣٦. .58

ما تواصلون عليه، وتعرفون بـه فـرب رحـم مجهولةٍ قد عرفت فوصلت، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهي عـن مسـاويها)[٦٥] وندرك قيمة الشعر عند عمر في قوله: (تحفظـوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلـى مكارم الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعـث على جميل الأفعـال، ويفتـق الفطنـة، ويشـحذ القريحة، ويحدو على ابتناء وإدخار المكارم وينهى عن الأخلاق الدنيئة، ويزجر عن مواقعة الرّيـب، ويحضض على معالي الرتب)[٦٦] وكان (رضي الله عنه) حريصاً على تعليم الشعر، والاهتمام به في الامصار الإسلامية، وخاصة الاماكن القريبـة من البادية أو التي يمكن أن تسهم فـي ازدهـار الحركة الأدبية ونراه يؤكد على أهميـة الشـعر ورسالته التربوية والتعليمية في كتابه لابي موسى الاشعري: (مُرْ مَنْ قِبلك يتعلُّم الشِّعْر، فإنه يـدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفـة الأنساب) وهو مطلب يشير إلى أمـر مهـم هـو خوف عمر من إزدياد ضياع الشعر وإهمالـه أو الإنشغال عن روايته في وقت كثرت فيه الفتوحات الإسلامية، وأشتد إختلاط العـرب بغيـرهم مـن الأعاجم.[٦٧] والشعر إلى جانب الفروسية والعـوم يمثل دعامة من دعائم التربية، فقد كتب إلى أهـل الأمصار: (علموا أولادكـم العـوم والفروسـية، ورووهم ما سار من المثـل، ومـا حسـن مـن الشعر)[٦٨]

هذا فيما يتصل بالنظرية، فإذا أتينا إلى الأمثلة التطبيقية في نقد الشعر مما روي عن عمر فسنجدها لا تخرج عن الإطار الذي رسمته تلك الأقوال والتوجيهات المأثورة عنه في فهمه للشعر. فهو في حضه الناس على تعلم الشعر وتعليمه، وفي نهيه عن بعض أبواب منه، وعقابه لبعض الشعراء على قولهم شعراً بعينه، يصدر في كلا الحالين عن موقف ملتزم بالعقيدة الإسلامية وتوجيهاتها وبرؤية النبيﷺ للشعر وموقفه منه.

ونجد أنّ عمر قد كَوَّن رأيه الخاص فيما عرض له من ذلك الالتزام ومن تجربته الخاصة وتذوقه الشعر واستحسانه، وهذه التجربة وهذا الذوق الخاص لا يخرجان عن إطار ذلك الالتزام.

كان عمر (رضي الله عنه) – كما أسلفنا – كثيراً ما يردد أبياتاً في الحكمة والمثل مما يشتمل على قيمة خلقيه، وهو يدعو إلى تعلم وحفظ الأشعار الحسنة إلتي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتعليمها للنشء وكان يمدح من الشعر ما وافق المثل العليا ودعوة الحق ويشجع الشعراء على ذلك. وهو بجانب اهتمامه بالجانب الخلقي في الشعر لم يهمل العناصر الجمالية فيه، وكان ينظر إلى الشعر على أنه من مصادر المعرفة وسماه (علم العرب)، يعني المعرفة بالتاريخ والأنساب إلى جانب ما يشتمل عليه من حكم وتجارب. وهو يعترف بما للشعر من تأثير في النفوس، فأبيات المديح الموجزة يقدمها الشاعر بين يديه تعينه على بلوغ مرامه ونيل حاجته. ثم أن للشعر أثره الاجتماعي في الإصلاح بين الناس وتعميق الصلات بينهم وقضاء حوائجهم وإشباع حاجاتهم الفكرية والنفسية. ومن المواقف التي نلمح فيها تشجيع عمر للشعر المقترب من الإسلام قوله لسحيم عبد بني الحسحاس، وقد انشده قصيدة جاء في مطلعها:

كفي الشيب والإسلام للمرء ناهيا

---

[٦٥] المرجع السابق. نفس الصفحات .59

[٦٦] المرجع السابق،ج١، ص٣٧، والمرصفي، سيد .60 بن علي(١٩٢٧م) رغبة الآمل من كتاب الكامل، ج٣، د.ن، القاهرة، ص١١٠.

[٦٧] ابن رشيق العمدة، ج١، ص٢٨، وأحمد يوسف .61 نشأة النقد الأدبي، مرجع سابق، ص٥٦.

[٦٨] ابن رشيق، العمدة ج٢، مرجع سابق، ص١٨٠. .62

فقال له: (لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك) وفي الأغاني: (لو قلت شعرك كلـه مثـل هـذا لأعطيتك)[٦٩] وهذا يدلنا على إدراك عمر لأهمية الشعر وأثره الروحي.

ونلمح هذا أيضا في إعجابه واستحسانه لقول لبيد:

أكذِبُ النفس إذا حدَّثتُها إنّ صدق النفس يُـزري بالأمل[٧٠]

وكان عمر كثيراً ما يردد قول عبدة بن الطبيب:

والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

وكان يعلق بقوله: (على هذا بُنِيَتْ الدنيا)[٧١] ولم يكن إعجاب عمر بالبيت لما اشتمل عليه من معنى وحكمة فحسب، وإنما استجاد ما فيه من حسن التقسيم والتفصيل أيضا.[٧٢] وهذا الملمح البياني نبصره أيضا في استحسانه لبيت أبي قيس بن الأسلت:

الحزمُ والقوةُ خَيرٌ من الأدْ
هـــان والفــكة والـهــاع

ومصدر إعجابه هو ما في البيت من مقابلة وتقسيم وذلك بين (الحزم والقوة والفكة)[٧٣] ونجد هذا الموقف البياني أيضا في إعجابه ببيت زهير الذي كان عمر لا يفتأ يردده، وهو:

وإنَّ الحقَّ مقْطعهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

فكان يعجبه ما فيه من حسن تقسيم كمـا يـروي الجاحظ.[٧٤]

ويأتي مع هذا موقفٌ إزاء البيت يتصـل بـالحق والعدل فهو موقف أخلاقي وذلك يتجلى في تسمية عمر لزهير بأنه: (قاضي الشعراء) بسـبب هـذا البيت. وقوله أيضا: (لو أدركته لوليته القضاء)[٧٥] وقد كان من خصائص النقد في العصر الجـاهلي والإسلامي أن يدور حول المفاضلة بين الشعراء، وفي هذا الباب نجد أنه قد نُقِلَتْ روايات عن عمر في مناسبات مختلفة فضل فيها شـاعراً بعينـه. فحينما سأله العباس بن عبد المطلب (رضـي الله عنه) عن الشعر أجاب عمـر: (امـرؤ القـيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عـن معـانٍ عور أصح بصراً)[٧٦] وقد فسر بعض القدماء قول عمر بأنه يعني أن اليمن – وامرؤ القيس منهم – لم يبلغوا في الفصاحة شأو نزار وأن امرأ القيس قد خالف ذلك وغيّر منه.[٧٧]

ويروي إسحق بن إبراهيم الموصلي أن عمر يعني بقوله ذاك أنّ شـعر امـرئ القـيس دون شـعر مضر.[٧٨]

وممن قدمه عمر من شعراء الجاهليـة الشـاعر الفحل النابغة الذبياني وذلك حين زاره وفد غطفان فأنشدهم من شعره أبياتاً متفرقة وقدمه بها علـى شعرائهم. ومما أنشده من شعر النابغة:

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك ريبة
ولـيس وراء اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
ولسـت بمستبق أخاً لا تَلُمُهُ
على شَعثٍ أي الرجالِ المُهذّبُ

وقوله:

---

[٦٩] الأصفهاني، الاغاني ج٢٢، ص٣٠٥، وابن سلام، طبقات فحول الشعراء ص١٥٦، والمرصفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل، ج٥، مراجع سابقة، ص٢١٠.

[٧٠] الراغب الأصفهاني، الأغاني،مرجع سابق، ص١٣٦

[٧١] الجاحظ ، البيان والتبيين، ج١، ص١٣٥٤.

[٧٢] المرجع السابق

[٧٣] المرجع السابق، ص١٣٦

[٧٤] المرجع السابق، ص١٣٦

[٧٥] ابن رشيق، ج١، العمدة، ص٥٥.

[٧٦] المرجع السابق، ج١، ص٧٧، والسيوطي، جلال الدين (د.ت) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد الفضل إبراهيم، ج٢، عيسى البابي الحلبي، مصر، ص٤٧٨.

[٧٧] الأصفهاني، الاغاني، ج٨، مرجع سابق، ص١٩٩.

[٧٨] المرجع السابق.

أتيْـتُكَ عارياً خَلقاً ثيابي
على وَجَلٍ تُظنُّ بي الظنونُ
فألفَيْتُ الأمانة لم تَخُنْها
كذلك كان نوحٌ لا يـخونُ

وقوله:

ولـسَتُ بذاخرٍ لغدٍ طعاماً
حذارَ غدٍ لكل غدٍ طعامُ(٧٩)

وتزيد الروايات المختلفة في الأبيات التي أنشدها عمر من شعر الشاعر أمام وفد غطفان.(٨٠) والأبيات التي أنشدها أمير المؤمنين وفضّل لأجلها النابغة ليست من الشعر الذي يتصل بالإسلام ولكنها تحوم حوله إذ تتصل بقيم خلقية كما أنها لا تخلو من الحكمة، فهي إذن تتفق ونظرة عمر إلى الشعر.

ولعّل إعجاب عمر بزهير لم يبلغه إعجابه بأي شاعر غيره، إذ سماه "شاعر الشعراء" ووصفه بأنه أشعر الشعراء. وأدرك عمر خلود شعر زهير على الدهر، إذ قال لابنة زهير: (ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك؟ قالت: أبلاها الدَّهر. قال: لكن ما كساه أبوك هرماً لم يبله الدهرُ).(٨١)

وقال لبعض ولد هرم بن سنان: (أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشده فقال: لقد كان يقول فيكم فيُحسنُ. قال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنُجزلُ. قال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم).(٨٢)

وقال مرة لابن عباس: (أنشدني لأشعر شعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. قلت: ولِمَ كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.)(٨٣) ويروي أن ابن عباس ظل ينشده من شعر زهير حتى برق الفجر فقام عمر وأذن بالصلاة.(٨٤) وهذا الخبر يدل على مدى اعجاب عمر بشعر زهير خاصة واهتمامه بالشعر عامة وتذوقه والاستماع إلى جيده. ونورد أمثلة من شعر زهير في المديح مما أعجب عمر وقدّم من اجله زهيراً. يروى أن عمر كان جالساً في قومه يتذاكرون الشعر. فيقول بعضهم: فلاناً أشعر، ويقول الآخرون لا بل فلان أشعر، فقيل ابن عباس بالباب. قال عمر: قد أتاكم ابن بجدتها، وأعلم الناس بها. فلما جلس بعد تسليمه قال عمر: من أشعر الناس يا ابن عباس؟ قال زهير يا أمير المؤمنين. قال عمر: وبم ذلك؟ قال ابن عباس: لقوله حيث يمدح هرماً وقومه بني مرة بن عوف يقول:

قومٌ أبوهم سِنانٌ حين تنسبُهُم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدو
لو كان يقعُدُ فوق الشمس من أحدٍ
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
أو كان يخلد غير الله من أحدٍ
أو ما تسلف من آب،ائهم خلدوا
لو يعدلون بكيل أو موازنةٍ
مالوا برضوى ولم يعدل بهم أحدُ
جنٌ إذا فزعوا إنس إذا نُسبُوا
مرزؤون بهاليل إذا جهدوا
مُحسّدون على ما كان من نعم
لا ينزع الله عنهم ما به حسدوا

قال عمر: صدقت يا ابن عباس.

ومما قُدِمّ به زهير عند عمر أيضا قوله في مدح هرم بن سنان:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية
من المجد من يسبق إليها يسود

---

(٧٩) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، ص٤٧، وابن قتيبة، أبو محمد عبد الله (١٩٣٢م) الشعر والشعراء ، دار المعارف، مصر، ص٢٩، و الأصفهاني، الأغاني ،ج١١، مرجع سابق، ص٤. 73.

(٨٠) المرجع السابق. 74.

(٨١) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٣٠٥. 75.

(٨٢) ابن رشيق ، العمدة ج١، ص٨١، الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١٠٥، مراجع سابقة. 76.

(٨٣) ابن رشيق ، ج١، العمدة، ص٩٨، الأصفهاني، الأغاني، ص١٠٥، مراجع سابقة. 77.

(٨٤) الأصفهاني، الاغاني ،ج١٠، ص٢٨٩، ابن رشيق ج١، العمدة، ص٩٨ ، مراجع سابقة. 78.

سبـقت إليـها كـل طـلق مبـرز
سبـوق إلى الغـايات غير مزند
كفـعل جـواد يسبق الخيل عـفوه
الـسراع وإن يـجهد ويجهدن يبعد
ولـو كان حمداً يخلد الناس لم تمت
ولكـن حمد النـاس ليس بمـخلد(٨٥)

ويلاحظ أن شعر زهير الذي قدّمه من أجله عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس هو من شعر المديح كما يتضح من الأمثلة التي أنشدت، فما خصائص ذلك الشعر الذي جعل زهيرا "أشعر الشعراء" أو "شاعر الشعراء" كما عبر أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه)؟

ان الخصائص التي لفتت انتباه عمر في المقام الأول في ذلك الشعر هي مما يتصل بقضية الصدق، صدق المضمون والبعد عن المبالغة والاقتراب من الواقع، وقد بيّن عمر تلك الخاصية في شعر زهير بقوله: (كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه). وقد أكد ابن رشيق ما ذهبنا إليه وذلك حين أشار إلى أن عمر كان معجباً بالصدق لذاته ولما اشتمل عليه من جليل الصفات(٨٦) وقد أحس زهير نفسه وأحس معاصروه بصدقه في شعره، فقد سأله احدهم: سمعتك تقول لهرم:

ولأنت أشجع من أُسَامة إذ
دُعيتْ نزال وَلَجَّ في الذُّعْر

وأنت لا تكذب في شعرك فكيف جعلته أشجع من الأسد؟ فردّ زهير بقوله: (إني رأيته فـتح مدينـة وحده وما رأيت أسداً فتحها قط!! فقد خرج لنفسه طريقاً إلى الصدق وبعداً عن المبالغة علـى حـد تعبير ابن رشيق، فعمر يسـمو بمرتبـة الشـعر والشاعر إلى مرتبة الأمانة والصدق والعدل فـي تناول التجربة الشعرية وهذا اتجاه جديد لمحناه من قبل عند رسول الله ﷺ حين سأل عن أبيات قـيس بن الخطيم، وهو اتجاه نبع من تطـوير الإسـلام وتهذيبه للفنون بصفه عامة والشعر بصفة خاصة، ويؤكد ما كان لعمر من مواقف رادعة مـع مـن أراد أن يرتد برسالة الشعر إلى الـوراء ويتخـذه وسيلة للتشهير والهجاء والنيل من أعراض الناس بالباطل وهو ما حرمه الإسـلام وسـنرى هـذا الموقف عند حادثة الحطيئة وهجائـه الزبرقـان وقصة النجاشي وهجائه بني العجلان.(٨٧)

هذا عن المضمون، وهناك ناحية أخرى تتصـل بالشكل من حيث الصياغة والتعبير واللفظ. فشعر زهير كما يرى عمر سليم العبارة بعيدٌ عن التعقيد والغرابة، وهو ما أشار إليه بقوله: (كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه) والمعاظلة هي حمل بعض الكلام على بعض واستعمال الرجيـع مـن القول، وتكرار الألفاظ والمعاني كما جاء في لسان العرب مادة عظـل.(٨٨) وأمـا حوشـي الكـلام ووحشيه فهو الغريب منه والذي لا يرد كثيراً في كلام العـرب، وإذا ورد ورد مسـتهجناً وأخـلَّ بفصاحة الكلام.

وقد عرَّف قدامة بن جعفر فيما بعد المعاظلة بأنها (فاحش الاستعارة) وانشد لأوس بن حجر:

وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نواشِزُها
تُصْمِتُ بالماء تَوْلَبًا جَدِعا

فكلمة "تولب" الواردة في البيت تطلق في الأصـل على ولد الحمار، واستعارها الشاعر للطفل، وهذا من قبيح الاستعارة كما يرى قدامة.(٨٩)

فعبقرية زهير تتجلى في اختياره للألفاظ السـهلة القريبة والمعاني الواضحة والبعد عـن التعقيـد

---

(٨٥) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ج١، مرجع سابق، ص١٩٠. 79.

(٨٦) ابن رشيق، العمدة، ج١، مرجع سابق، ص٨١،٨٠. 80.

(٨٧) المرجع السابق، ص٨٠، ٨١، والأصفهاني، الاغاني، ج٢، ص١٨٦، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٣٣١، مراجع سابقة. 81.

(٨٨) ابن منظور، محمد بن مكرم(د.ت) لسان العرب، مادة عظـل، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت .

(٨٩) قدامة بن جعفر (١٩٥٦م) نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى: مكتبة الخانجي، مصر، ص١٠٣. 82.

المعنوي واللفظي، كما يمتاز أسلوبه بخلوه من الحشو والتكلف والمبالغة.

ومما يلاحظ على هذا الحكم النقدي الذي صدر عن عمر في شعر زهير، أنه حكم معلل، وهذا ما يندر وجوده في الأحكام النقدية في ذلك العصر وما سبقه.

كما يلاحظ أن حكم عمر على شعر زهير قد تضمن ذكراً لمسائل خاض فيها علماء البلاغة فيما بعد، وهي المعاظلة، وحوشي الكلام وبينوا أثرهما السيئ في الإخلال بفصاحة الكلام وبلاغته. وقد أشرنا من قبل إلى ما كان من إعجاب عمر بما عُرف عند البلاغيين فيما بعد بـ"حسن التقسيم" وذلك فيما كان يردده من أبيات لزهير وعبدة بن الطبيب وأبي قيس بن الأسلت. والذي يمعن النظر في الأبيات التي انشدها ابن عباس أو أنشدها عمر نفسه من شعر زهير ولأجلها فضله على غيره من الشعراء، يجد أن تلك الأبيات لا تخلو من صور بلاغية قد تكون بعض ما لفت انتباه عمر فاستجاد الأبيات وإن لم يشر إلى تلك الصور بعينها. من هذه الصُور البلاغية ما يعرف بالتصدير وما يعرف بالتسهيم، وفي كليهما ترتبط القافية بصدر البيت بحيث يوشك السامع أن يدرك قافية البيت حين يسمع مطلعه.

من ذلك قول زهير في الأبيات السابقة:

ولوْ كان حَمْداً يُخلِدُ الناسَ لم تَمُتْ
ولـكن حَمْدَ النـاس ليس بمُخْلِدِ

وقوله:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ
قومٌ بأولهم أو مجـدهم قعدوا
أو كـان يخلدُ غيـر اللهِ من أحدٍ
أو ما تسـلف من آبائهم خـلدوا
مُحَسّودون علـى ما كان مـن نِعَمٍ
لا ينزع اللهُ عنهم ما به حُسِدوا

ونجد في بعض الأبيات ترديداً لجذر الكلمة، وهذا وإن لم يكن يتعلق بالقافية مثل سابقه، إلا أنه لا يخرج عن دائرة تلك الصنعة التي عرف بها شعر زهير، والتي كان يحسن بها شعره.

من ذلك قوله:

سَبـَقْتَ إليـها كـلّ طلـق مُبَرّزٍ
سبـوق إلـى الـغايات غير مزند
قـوْمٌ أبوهم سِنـانُ حين تَنْسبُهم
طـابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لـو يعدلون بكيـلٍ أو مـوازنةٍ
مالوا برضْوَىَ، ولم يَعْدِلْ بهم أحدُ

ولعل هذه الصنعة وأشباهها والتي ربما بسببها أطلق الأصمعي على زهير وأشباهه لقب "عبيد الشعر" هي التي أعجبت عمر في شعر زهير إلى جانب خصائص أخرى أشرنا إليها أو إلى بعضها. وليس لدينا دليل على أن هذه المحسنات الشعرية مثل التسهيم والتصدير وغيرها قد عرفت بمسمياتها تلك في ذلك الزمن المبكر من عصر صدر الإسلام، ولكن الذي لا شك فيه أنهم فطنوا إليها وإلى أمثالها وأعجبوا بها.

ويروي أن ابن عباس سمع مرة عمر بن أبي ربيعة ينشد:

تشُطّ غداً دارُ جيراننا

فقال ابن عباس على الفور:

وللدّارُ بَعْدُ غَدٍ أبعَدُ

فكان هذا ما أراد الشاعر قوله.(٩٠)

ومن أبيات زهير السابقة – مما أنشده عمر – ما يشتمل على التقسيم، وهو قوله:

جنٌ إذا فزعوا/ أنسٌ إذا نُسبوا/
مـرزؤون بـهاليلٌ إذا جُهدوا

وعند قدامة بن جعفر أن هذا يسمى "بالترصيع"(٩١) هذه الملاحظات النقدية تمثل جانباً من موقف عمر من الشعر وهو الجانب الذي يتصل بالشعر الحسن والذي يوافق الحق. إلى جانب ما اشتمل عليه من خصائص جمالية استحسنها عمر. وهناك ملاحظات وأحكام نقدية أخرى أثرت عن عمر تبيّن موقفه من الجانب الآخر للشعر وهو الشعر القبيح والذي يخالف الحق، ذلك الحق الذي هو

(٩٠) ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص ٣١. 83.

(٩١) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مرجع سابق، ص١٤. 84.

بمثابة القطب الذي دارت حوله أحكام عمر عن الشعر. وأول ما نلاحظه أن عمر على الرغم من تشجيعه للشعر وذلك فيما أوردنا من أقوال وأحكام، إلا أنه كان يحد ذلك بحدود على الشعراء ألاّ يتجاوزوها، وقد كان أحياناً يفضل عزوف الشاعر عن نظم الشعر وانصرافه عنه إلى الاهتمام بالقرآن الكريم وتلاوته. فقد روي عنه أنه كتب إلى المغيرة بن شعبة ليستنشد الشعراء ما قالوا من شعر في الإسلام وقد أجاب لبيد بأنه ترك الشعر للقرآن، فأجازه عمر على ذلك وزاد في عطائه.[٩٢] وهذا موقف ليس بمستغرب من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، حامي حمى الإسلام، الزاهد في الدنيا ومتاعها، الواقف مع الحق أينما دار. فإن كان لا بد من قول الشعر فليكن ذلك داخل دائرة الحق والصدق. يأتي توجيه الخليفة الراشد اولاً داعياً إلى تعلم كتاب الله (اقرءوا القرآن تعرفوا به، وأعملوا به تكونوا من أهله).[٩٣] "وكونوا أوعية الكتاب" أي احفظوه في صدوركم. فإذا ما وجه عمر بتعلم الشعر فليس كل شعر وإنما تعلُم "ما حسُنَ من الشعر"[٩٤] و"اروا من الشعر أعفه"، "ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهي عنه مساويها"[٩٥] فإن لم يكن الشعر كذلك فهو جدير بطرحه والنهي عنه والتحذير منه بل العقوبة عليه، وهذا ما سنراه فيما أثر عن عمر من أخبار وروايات في هذا الشأن. فقد نهى عن الغزل الفاحش الذي فيه العودة إلى قيم الجاهلية وإباحيتها. فحين سمع سحيم عبد بني الحسحاس وهو ينشد:

تُوسّدُني كفاً وتثني بمُعصَم...

وقوله:

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم...

يقول له عمر: "ويلك إنك لمقتول"[٩٦] وحقاً فقد قُتل الشاعر على يد بعضهم ممن يتهمه وذلك حينما اخذوه سكراناً وعرضوه على بعض النسوة فأهوى بيده على إحداهن وكان متهماً بها، فقتلوه. ومثل هذا الشعر لا بد من النهي عنه حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم الذي يدعوه عمر إلى أن يروى من الشعر أعفه.

موقف آخر مع شاعر جاهلي يسمع عمر أبياتاً من شعره يبين فيها الشاعر فلسفته المادية في الحياة من شرب للخمر وتتبع للذات والفواحش، ذلكم الشاعر هو طرفه بن العبد الذي يقول:

ولـولا ثلاثٌ هُنّ من عيشَةِ الفَتى
وَجَدّك لم أحْفِلْ مَتَى قامَ عُودّي
فمِنـهُن سَبْـقي العاذِلاتِ بشَرْبَةٍ
كُمَـيْتٍ مَتَـى ما تَعَل بالماء تُزْبد
وكَـرّي إذا نَـادَى المُضافُ مُحَنِّباً
كَـسيدِ الغضـى نَبّهـتَهُ المُتَورّدِ
وتَقصيـرُ يَومُ الدّجْن والدّجْـنُ
مُعجبٌ ببَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطّرافِ المُعَمّدِ

قال عمر لدى سماعها: (لو أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهتي لله، وأجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمرة، لم أبال أن أكون قد مِت).[٩٧]

فهذه فلسفة في الحياة تحمل قيماً إسلامية جديدة في مقابل تلك القيم الجاهلية، ويلاحظ واقعية عمر في إبداله تلك القيم على الفور.

وقد كان عمر – وهو الخليفة الراشد وأمير المؤمنين والمسئول الأول عن المجتمع وسلامته وهدايته ورشده، والقائم على أمر الدين – صارماً في مواجهة تلك الأفكار والاتجاهات التي تعود

---

[٩٢] ابن قتيبه، الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص٥١. 85.

[٩٣] الجاحظ ، البيان والتبيين، ج٢، ص٧٠. 86.

[٩٤] المرجع السابق، ص١٨٠، ١٩٥. 87.

[٩٥] ابو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، مرجع سابق، ص٣٦. 88.

[٩٦] ابن سلام طبقات فحول الشعراء، ص١٨٨، والأصفهاني، الاغاني ج٢٢، ص٣٠٥، مراجع سابقة. 89.

[٩٧] الجاحظ ،البيان والتبيين، ج٢ ص ١٠٠. 90.

بالمجتمع المسلم إلى قيم الجاهلية، والتي تعمل على نشر الفساد وتزيينه.

ومما أثر عنه في ذلك أنه ولّى النعمان بن عدي ولاية ميسان، فبلغه عنه شعر يقول فيه:

فمَـــنْ مبلغُ الحسناءَ أنّ حليلها
بميـــسان يُسقى في زجاج وحنْتَمِ
إذا شئـتُ غنّتْنـــي دهاقينُ قريةٍ
وصنـــاجة تـــجثو على كلّ منسمِ
فـــإنْ كنـــتَ نـــدماني فبـالأكبر
اسقِني ولا تسقني بالأصغر المتثلّم
لـــعلّ أميـــر المؤمنـــين يسوؤه
تنـــادُمنا في الجَـــوْسَق المتـــهدّم

والجوسق: هو القصر الصغير، والحصن. والحنتم هو الجرّة الخضراء.

فقال عمر لما بلغه الشعر: (إي والله إنه ليسوؤني) وبعث إليه "وأيم الله إنه ليسوؤني، وقد عزلتك".

وعندما قدم على عمر قال النعمان: "والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط، وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني" فقال عمر: "أظن ذلك، ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبداً".(٩٨)

فإذا كان التمدح بشرب الخمر واللهـــو والبطالـــة منهياً عنه المسلم فما باله إذا كان هذا المسلم والياً يفترض فيه القـــدوة الحســـنة شـــأن ولاة عمـــر جميعهم.

وكان منهج عمر (رضي الله عنه)، سدّ أبـــواب الفتن والفساد، لذلك كانت رقابته صـــارمة علـــى أولئك الشـــعراء الـــذين يســـتهينون بالحرمـــات ويشيعون الفاحشة، وقد وقف أمام الشعراء الـــذين يشببون بالمحصنات، وروي عنه أنـــه تقـــدم ألاّ يشبب رجل بامرأة إلا جلده، فقال حميد بن ثور:

أبـــى الله إلا أن سَرْحَة مـــالكٍ
عـــلى كلّ أفنان العِضَاةِ تـــروقُ
وهـــل أنا إنْ عللتُ نفسي بسرحةٍ
من السّـرح مأخودٌ علىّ طـريق(٩٩)

فلجأ الشاعر إلى الرمز والكناية بـــدل التصـــريح بالمعنى خوفاً من العقوبة.

وقد لا يكون الشعر غزلاً فاحشاً في حد ذاته وإنما يوجه ويوظف في غير ما قاله صـــاحبه فيكـــون سبيلاً إلى الفتنة والباطل. يروى أن رجـــلاً مـــن مزينة مر بباب رجل من الانصار، وقد كان يتهم بامرأته فتمثل:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم

فاستعدى رب البيت عليه عمر، فقال له عمر: ما أردت؟ قال: وما علىَّ في أن أنشدت شعراً؟ قال: قد كان له موضع غير هذا. ثم أمر به فحُدَّ...(١٠٠)

وفي رواية الأغاني:"مالك لم تنشده قبل أن تبلـــغ بابه؟ ولكنك عرضت به مع ما تعلم مـــن القالـــة فيه"(١٠١) فالشعر عند عمر إنما هو وسيلة للبناء لا للهدم، لنشر مكارم الأخلاق والنهي عن مساويها، وهكذا يجب أن يوجه لخدمـــة أهـــداف العقيـــدة الإسلامية كما يرى عمر.

وامتدت رقابة عمر على الشعر لتشمل نهيه عـــن إنشاد ما عرف بالنقائض بين الأنصار ومشـــركي قريش، وحجته في هذا أن في ذلك شـــتم الحـــي بالميت، وتجديد الضغائن، وقـــد هـــدم الله أمـــر الجاهلية بما جاء في الإسلام.(١٠٢)

وتبعاً لانهاء نزعات الجاهليـــة أوشـــك أن ينهـــى حسان بن ثابت من إنشاد شعره في المسجد النبوي الشريف، فقد روي عن عمر أنه مر بحسان وهو ينشد شعره في مسجد رسول الله ﷺ فقال: "أرغاء كرغاء البكر؟" فقال حسان: دعني يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هـــو

(٩٨) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٤٢. 91.

(٩٩) الاصفهاني، الاغاني، ج١٠، مرجع سابق، ص٣٥٦. 92.

(١٠٠) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، ص١٤٠، الأصفهاني، الاغاني ج١، ص٢٠٣، مراجع سابقة. 93.

(١٠١) الأصفهاني، الاغاني ج٢١، مرجع سابق، ص١٠٢. 94.

(١٠٢) المرجع السابق، ص١٤٠. 95.

خير منك فما يغير علـــى ذلـــك، فقـــال عمـــر: صدقت.(١٠٣)

ومما يجري هذا المجرى ما روي من خبر عبـــد الله بن الزبعري وضرار بـــن الخطـــاب اللـــذين حضرا إلى المدينة المنورة وطلبا من حســـان أن يتناشدا ما دار بينهما من مناقضات وذلك حينمـــا كانا مشركين وكان حسان مســـلماً يـــرد عليهمـــا هجاءهما المسلمين. وافق حســـان علـــى طلـــب الشاعرين فأنشداه حتى إذا صار يغلي كالمرجـــل قعدا على راحلتيهما وانطلقا. فذهب إلـــى أميـــر المؤمنين عمر وشكا إليه، فأرسل فـــي طلبيهمـــا فأحضرا وأذن لحسان في الانشاد فأنشد من شعره في الرد عليهما حتى اكتفى، وبعد ذلك أذن لهمـــا عمر في الإنصراف إذا شاءا.(١٠٤) وهذا الخبر له دلالته، فعمر من ناحية ينهي عن روايـــة الشـــعر الذي يثير الإحن ويذكر بأمر الجاهلية، ومن ناحية أخرى فهو يعطي حسان حقه فـــي إســـماع ابـــن الزبعري وضرار بن الخطاب شعره فـــي الـــرد عليهما، وذلك أن موقف العدل يتطلب ذلك، أضف إلى هذا أن هذه حادثة تشير إلى أن هذه الاشـــعار ما عادت تثير بين المسلمين شـــيئاً مـــن أمـــور الجاهلية، ومما يؤكد هذا أن عمر نفسه طلب منهم تدوين تلك المناقضات بين المسلمين والمشـــركين بعد أن كان ينهاهم عن روايتها.(١٠٥)

لم يقف نهي عمر عند تلك الأشعار التـــي أشـــرنا إليها، ولكنه شمل أحياناً شعر المديح، ففي الخبـــر أن الحطيئة مدح أبا موسى الأشعري بقصيدة جاء فيها:

جمعت من عامر فيه ومن جشم
ومـــن تميم ومن حاء ومن حام

فوصله أبو موسى، فكتب إليه عمر يلومه علـــى ذلك، فكتب إليه: "إني اشتريت عرضي منه بهـــا، فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنمـــا فـــديت عرضك من لسانه، ولم تعطه للمدح والفخر، فقـــد أحسنت".(١٠٦) ونحن نتســـاءل عمـــا وراء هـــذا الموقف من عمر حيال مدح الحطيئة لابي موسى الاشعري. هل كان ذلك الموقف نابعاً من أن عمر كان يهدف إلى أن يلتزم الشعراء ولا يمدحوا أحداً إلا بما فيه؟ أم هل كان هذا موقفاً خاصـــاً تجـــاه الحطيئة بالذات لما عرف عنه من شـــر الهجـــاء وسلاطة اللسان. لا سيما إذا ذكرنا تأديب عمر إياه بالحبس؟ ولأن الحطيئة إذا كذب في الهجاء فـــلا يبعد أن يكذب في المدح.

هذا وقد روي أن عمر لما أنشد قول الحطيئة:

متـى تأته تعشو إلى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

قال: "كذب، بل تلك نار موسى نبـــي الله". وفـــي العقد الفريد أنه قال: "ذلك رسول الله ﷺ". وعلق ابن عبد ربه على ذلك بقوله: فلم ير أحداً يستحق هذا المدح غير رسول الله ﷺ.(١٠٧)

ويروى عن عمر أيضاً أنه قال: كـــذب الحطيئـــة حيث يقول:

وإن جيـــاد الخليل لا تستنفزنا
ولا جاعلات الريط فوق المعاصم

لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله ﷺ.(١٠٨)

وهذه الأحكام من عمر فضلاً عما فيها من النفور من الكذب والمبالغة في شعر المديح، فكذلك نلمح فيها عدم تشجيع عمر لهذا الفن الشـــعري وذلـــك

(١٠٣) ابن رشيق ، العمدة، ج١، ص٢٨. والأصفهاني، الاغاني ج٤، ص١٤٤، مراجع سابقة. 96.

(١٠٤) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، ص٢٤٤، الأصفهاني، الاغاني ج٤، ص١٤١، ١٤٢، مراجع سابقة. 97.

(١٠٥) الأصفهاني، الاغاني ج٤، مرجع سابق، ص١٤١. 98.

(١٠٦) المرجع السابق، ص١٧٦ 99.

(١٠٧) المرجع السابق، ص٢٠٠، وابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج٥، مرجع سابق، ص٢٩٢ 100.

(١٠٨) الأصفهاني، الاغاني ج٢، ص١٧٧، 101.

ربما ينبع من موقف ديني إذ يخشى عمر الفتنة على الممدوح وانه ربما يغتر ويفخر بهذا المدح والذي يكون بالإضافة إلى ذلك كذباً ومبالغة، ولا يليق بالمسلم لا سيما إذا كان والياً أن يركن إلى ذلك. من هنا يمكن أن نفهم موقف عمر مع ابي موسى من مدح الحطيئة له.

ومما يعضد ما ذهبنا إليه من إنكار عمر للكذب والمبالغة في شعر المدح ما روينا قبل من قوله عن زهير "كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه" فعمر لا يشجع شعراء المديح، فان كان لا بد فليلتزم الشاعر بالصدق.

ويأتي بعد ذلك موقف عمر الصارم من شعر الهجاء، فقد اصطدم هذا الموقف بشعراء هجائيين انحرفوا برسالة الشعر التي يريدها عمر في المجتمع المسلم. وهو في موقفه هذا تجاه الشعر القديم والشعر المعاصر له إنما يستملي أخلاقيات العقيدة الإسلامية في حكمه عليه.

ومن ثم كانت رقابته على شعر الهجاء أشد لأنه قذف. من أولئك الشعراء الهجائيين ممن اصطدم بهم عمر الشاعر الحطيئة والنجاشي الحارثي، ونلمح في موقفه مع الحطيئة أثر الحديث النبوي الشريف "من قال في الإسلام هجاءً مقذعاً فلسانه هدر" وقد هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر، فأتى عمر فقال: إنه هجاني. قال: وما قال لك؟ قال: قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاءً ولكن معاتبة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! فقال عمر: علىّ بحسان* فجئ بحسان فسأله، فقال: لم يهجه ولكن سلح عليه. ويقال إنه سأل لبيداً فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حمر النعم، فأمر به عمر فجعل في نقير – ما نقر من حجر أو شجر – في بئر، ثم ألقى عليه شيء، فقال:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها
لكن بأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم
بين الأباطح تغشاهم بها القرر
أهلي فداؤك، فكم بيني وبينهم
من عرض داوية تعمى بها الخبر

فأخرجه، وقال له: إياك وهجاء الناس، فقال: إذاً يموت عيالي جوعاً. هذا مكسبي ومنه معاشي. قال: فإياك والمقذع من القول. قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خير من فلان، وآل فلان خير من آل فلان... وقد علق الحطيئة على ذلك بقوله أن عمر أعرف بالهجاء منه.[١٠٩] إن الهجاء المقذع لم يستحدث في الإسلام وإنما الجديد في الأمر هو نهي الإسلام عنه والتحذير منه لما فيه من إثارة للعداوة بين أفراد المجتمع المسلم. ولم يكن أمير المؤمنين عمر ليترك الحطيئة وعياله يموتون جوعاً فلم ينهه عن قول الشعر ومدح الناس ولكنه نهاه عن "الهجاء المقذع" واشترى منه أعراض المسلمين بعدة دراهم. ويعطينا موقفه مع الحطيئة حينما استعطفه بعدما سجنه، مثالاً لذلك الشعر الذي أشار إليه من بعد قول عمر "تِعْمَ ما تعلمته العرب

(*) لم يحكم عمر في أبيات الحطيئة لانه كان بصدد حكم شرعي لا نقدي مما يخشى فيه من حدود الله، ولهذا أوكل الأمر إلى شاعر ليكون حكمه الشرعي دقيقاً أو مطابقاً لحكمه النقدي. 102.

[١٠٩] الأصفهاني، الأغاني ج٢، ص١٨٧، ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص١٧٠، مراجع سابقة. 103.

الأبيات من الشعر"[١١٠] "وخير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم"[١١١] "ونعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها بين يدي الحاجة، يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم"[١١٢] وقد كان لتجربة عمر الشخصية ما يؤكد تلك المعاني، فقد استعطفه الحطيئة بعد سجنه بتلك الأبيات التي أشرنا إليها، فرق له عمر وأطلقه.[١١٣]

ومثال آخر هو أبيات أمية بن الأسكر قدمها أمام حاجته عند عمر حين أراده أن يرجع إليه ابنه الذي خرج في الجهاد وكان أمية كبير السن وفي حاجة لابنه.[١١٤]

تلك هي بعض ما أُثر عن عمر بن الخطاب من نقد وأحكام على الشعر، وسنلمح أثر ذلك النقد فيمن أتى بعده في العصر الأموي، فلعل الذين فضلوا زهيراً والنابغة من أهل الحجاز لم يكونوا بعيدين عن تأثير عمر. بل ربما امتد تأثيره ابعد من ذلك إذ نجد ناقداً مثل قدامة بن جعفر قد تأثر برأي عمر في المديح فقد استشهد بقوله في تقديم زهير وتعليله ذلك بأنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه. فتبعاً لهذه النظرية العمرية نجد أن قدامة قد اقام نظريته في المديح، كما استند على رأي عمر حول خلو شعر زهير من الوحشي، فنجد قدامة يعد الوحشي من عيوب الشعر، كما نجد قدامة متاثراً بعمر في حديثه عن المعاظلة فدعا في كتابه نقد الشعر إلى تجنبها.[١١٥]

عثمان بن عفان:

ولا نلمس تاثير الإسلام في الحكم على الشعر عند عمر فحسب وإنما نجده عند معاصريه، وقد كان شعر زهير هو المثال الذي يقدمونه، فالخليفة الراشد ذو النورين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان معجباً بشعر ذلك الشاعر لما يتجلّى فيه من الصدق، وحين أنشد قوله:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقال عثمان: أحسن زهير وصدق. لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس. ثم قال: وقال النبي ﷺ: (لا تعمل عملاً تكره أن يتحدث الناس عنك به)[١١٦]. واستشهاد عثمان بالحديث النبوي الشريف لهو دلالة على أن اعجابهم بشعر زهير كان لما فيه من موافقة الحق والصدق الذي صار مقياساً نقدياً في تقويم الشعر في صدر الإسلام.

ولم يكن عثمان (رضي الله عنه) متحمساً لسحيم عبد بني الحسحاس، فقد عرض عليه شراؤه فأبى قائلاً: لا حاجة لي فيه إنما حظ العبد الشاعر من أهله أنه إذا شبع شبب بنسائهم وإذا جاع هجاهم.[١١٧] وعثمان بذلك يسد الذرائع بقفله لأبواب الشر المتمثلة في شعر الغزل والهجاء، وهي نظرة وجدناها من قبل عند عمر بن الخطاب، وهي نظرة مستوحاة من توجيهات الإسلام.

---

(١١٠) الجاحظ ،ج٢، البيان والتبيين، ص١٩٥. وابن رشيق ، العمدة، ج١، مراجع سابقة، ص٦٥. 104.

(١١١) الجاحظ ، البيان والتبيين، ص١٠١. 105.

(١١٢) الراغب الاصفهاني الأغاني، مرجع سابق، ج١، ص٨٠. 106.

(١١٣) المرجع السابق، ص١٨٧، ابن رشيق، العمدة ج٢، مرجع سابق، ص١٧٠. 107.

(١١٤) المرجع السابق، ص٥٨. 108.

(١١٥) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مرجع سابق، ص١٠٣. 109.

(١١٦) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، مرجع سابق، ص٣١٢. 110.

(١١٧) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، ص١٨٨، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٩٢ مراجع سابقة. 111.

وللإمام على –رضي الله عنه– أقوال مأثورة في نقد الشعر، وكان يرى أن الشعر ميزان القول أو ميزان القوم.[١١٨] وقد كان موقفه من الشعر شبيهاً بموقف عمر من حيث الدعوة إلى تعلم أحسنه، فهو في المقام الأول يشجع العدول عن الشعر إلى القرآن وتعليمه للنشء، وهذا ما يؤكده لنا موقفه مع والد الفرزدق وابنه[١١٩] وهو بعد هذا يحث الآباء على أن يلقنوا الأبناء من الشعر أحسنه وأعفه تقويماً لألسنتهم وتهذيباً لنفوسهم واستعانة به عند الاقتضاء في تفهم القرآن. ولم يكن مجلس الامام على يخلو من الخوض في أمر الشعر والشعراء والحكم بينهم. وكان هو يشارك في هذا النقاش ويدلي برأيه ويدير تلك المناظرات. ومما يروى عنه في ذلك انه سمع ذات ليله أفراد جيشه يتجادلون فيمن هو أشعر الشعراء، فوجه سؤاله إلى أبي الأسود الدؤلي، الذي قدم أبا داؤد الإيادي وذلك لقوله:

ولقد اغتدي يدافع ركني
أحوذي ذو ميعة إضريج
مخلط مزيل مكر مفر
منفخ مطرح سبوح خروج[١٢٠]

وكان من رأي الأمام على أن المُقَدّم هو امرؤ القيس، على ما سنرى. ومن الملاحظ أن حكم أبي الأسود الدؤلي بتفضيل أبي داؤد الإيادي كما نراه من الأبيات التي أنشدها من شعره، لم يكن حكماً مبنياً على أمر أخلاقي أو ديني، وإنما الأبيات كما نرى في وصف الفرس الذي كان ابو داؤد أحد وصافه المشهورين. فهل كان حكم أبي الأسود نابعاً من جو المعركة والقتال، وحاجتهم إلى الخيل؟ أم أن مرحلة الحكم النقدي القائم على النظر إلى الشعر من جهة الصدق كما رأينا من قبل آذنت بالرحيل بعدما وضعت أساساً عاماً في نقد الشعر لا نعدم أن نلمس أثره فيما تلا ذلك من عصور؟ أقرب الظن أن هذا ربما كان حدساً صائباً ونحن نقترب من العصر الأموي الذي يمثل في جوانب منه، خاصة فيما يتعلق بالشعر، رجعة إلى ما كان عليه الشعر في العصر الجاهلي .

ولنعد إلى الإمام على وتقديمه لامرئ القيس وما أورده من علل لذلك التقديم. فقد روي عنه أنه قال: "لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم رايه فجروا معاً لعلمنا من منهم السابق وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة أو لرهبة." فقيل من هو؟ فقال: الكندي – يعني أمرأ القيس – قيل ولم؟ قال: لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة.[١٢١] ويعلق ابن رشيق على حكم الإمام بأنه حينما فضل امرأ القيس إنما فعل ذلك لأن هذا الشاعر قد "صنع بطبعه" – على حد تعبير ابن رشيق– وأنه لم يقل الشعر لرغبة أو لرهبة.[١٢٢]

والعلماء الذين تناولوا قول الإمام على عن امرئ القيس يرون "أن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء استحسنتها الشعراء فاتبعوه فيها، لأنه أول من لطف المعاني واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام، فقيد الأوابد، وأجاد الاستعارة والتشبيه".[١٢٣]

---

[١١٨] ابن رشيق، العمدة، ج١، مرجع سابق، ص٢٨.

[١١٩] الأصفهاني، الأغاني ج١٩، مرجع سابق، ص٩.

[١٢٠] المرجع السابق، ج١٦، ص٣٧٦، ٣٧٧.

[١٢١] المرجع السابق، ص٣٧٦– ٣٧٧، ابن رشيق، العمدة، ج١، مرجع سابق ص٤١.

[١٢٢] المرجع السابق، ج١، ص٢٧.

[١٢٣] ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، ص١٢٨.

وكما رأينا من قبل عمر بن الخطاب يعلل حكمه في تفضيل زهير، فكذلك علل الإمام على حكمه في تقديمه أمرأ القيس وهو أنه "لم يقل الشعر لرغبة أو لرهبة" وانه "كان أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة" فحكمه الأول يشير إلى جانب الصدق في شعر امرئ القيس، نعني صدق المشاعر والتجربة الشخصية، والاقتراب من الواقع والبعد عن الكذب. وحكمه الثاني يشير إلى ما امتاز به امرؤ القيس من إبداع في المعاني وسبق إليها ومن قول للشعر على البديهة والطبع، وهذا ما أكده ابن رشيق بقوله "صنع بطبعه".

وتأثير الإمام على فيمن جاء بعده كان كبيراً، ليس فيما ذكرنا له من رأي في شعر امرئ القيس فحسب، وإنما في كثير من جوانب الفكر والمعارف، وهذا باب آخر ليس هنا محل الخوض فيه. ولنشر –هنا–، إلى أن نقاداً مثل ابن أبي طرفة، ومن تبعه مثل ابن قتيبة حينما تحدثوا عن تأثير الرغبة والرهبة والغضب والسرور أو الطرب، في القدرة الشعرية عند شعراء من أمثال زهير والأعشى والنابغة وغيرهم، أن هؤلاء النقاد ربما يكونون قد تأثروا بما قاله الإمام على عن امرئ القيس. وقد أضاف صاحب الأغاني في روايته أن الإمام علي يرى أن كل شاعر قد أجاد في فن من الفنون الشعرية ولم يذكر الإمام أمثلة على ذلك.[١٢٤] ولكن ملاحظته هذه قد تكون هي التي نبهت نقاداً مثل ابن أبي طرفة والأصمعي إلى أن هناك من الشعراء من اشتهر بالإجادة في واحد من فنون الشعر.

وليس بعيداً أن يكون من كتب في الموازنات بين الشعراء، قد استفاد مما قاله الإمام على في هذا الشأن، فهو قد وضع قواعد لهذه الموازنة لا تقوم من دونها وهي أن يجتمع الشعراء في زمان واحد وتنصب لهم رأيه، أي يقولون الشعر في غرض واحد لنرى السابق، فإن كان هذا متعذراً في شأن الشعراء المتأخرين، فأفضلهم في رأيه امرؤ القيس، لما ذكر من علل وأسباب.

ابن عباس:

إن المشاركة في حركة نقد الشعر في زمن الصحابة وبعده أسهمت في بعض جوانبها في تأسيس الاتجاه الذي أفاد من الشعر الجاهلي في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن ثم ظهور حركة جمع الشعر وروايته وظهور علوم النحو واللغة والبلاغة التي قامت أساساً حول هذين القطبين، القرآن الكريم والحديث الشريف. وقد كان ابن عباس (رضي الله عنه) من أوائل الذين ساهموا في تأسيس ذلك المذهب إن لم يكن أولهم جميعاً.

فهو قد عرف عنه إعجابه بالشعر وحفظه له، وذكر لنا الرواة أنه كان يستمع إلى عمر بن أبي ربيعة وهو ينشده من شعره، وأنه كان يحفظ ذلك الشعر[١٢٥] وقد كان ابن عباس يدعو إلى تعلم الشعر وحفظه للإفادة منه في فهم القرآن وتفسير الآيه القرآنية يقول:"إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب". وكان إذا سئل عن شيء في القرآن أنشد فيه شعراً.[١٢٦] وكان يقول: "الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز"[١٢٧] ولعل اقرب مثال على إفادته من الشعر في تفسير القرآن الكريم قصته مع نافع بن

---

[١٢٤] الأصفهاني، الاغاني ج١٦، ص٣٧٦، ٣٧٧، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٨–٩، مراجع سابقة. 118.

[١٢٥] المرصفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل، ص١٥٥، وابن رشيق، العمدة ج١، ص١٧، مراجع سابقة. 119.

[١٢٦] المرجع السابق، ج١، ص١٧. 120.

[١٢٧] ابن عبد ربه، ج٥، العقد الفريد، مرجع سابق، ص٢٨١. 121.

الأزرق حينما سأله الأخير عن بعض معاني الآيات القرآنية.[١٢٨] لقد كان ابن عباس –(رضي الله عنه) ما– من أجلّ الصحابة، وهو حبر الأمة، ومع جلالة قدرة وعلو منزلته وما اشتهر به من تفسير للقرآن الكريم، وفقه في الدين، وعلم بالشعر والأدب، فإن هذا كله لم يمنعه من الاستماع إلى شعر عمر بن أبي ربيعة وتذوقه وحفظه وإنشاده كما جاء في أخباره. وقد كان بعض القوم في زمان ابن عباس وما تلاه يتحرجون من الشعر ويعدونه من الرفث، ولم يكن ابن عباس كذلك وإنما يبين لهم أن الرفث عند النساء وليس في إنشاد الشعر.[١٢٩] ويروى في هذا الصدد أن أحدهم سأل ابن سيرين – رحمه الله – عمّا إذا كان إنشاد الشعر يفسد صوم رمضان فرد عليه وهو يتأهب إلى الدخول في الصلاة بإنشاد هذا البيت:

نُبـئْتُ أنّ فتاةً كنْتُ أخطُبها
عُرْقوبها مثل شَهْر الصوم في الطول

وفي رواية أنه أنشد بيتاً من شعر جرير، أفحش فيه الشاعر في هجاء الفرزدق.[١٣٠] ولعل هذا التحرج من إنشاد الشعر يتصل أحياناً بذلك الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر، ذلك الاتجاه الذي يبحث عن أهداف تعليمية وخلقية للشعر تتصل بالحق والصدق، وهو الاتجاه الذي لاحظنا في صدر الإسلام واستمر زماناً في العصور التي تلته. فالعمري، وهو من رجال النقد في كتاب الأغاني، له وصيه تبين هذا الاتجاه الأخلاقي والتعليمي في نقد الشعر. فهو يدعو إلى تربية الأبناء بإسماعهم الشعر إذ أنه يعلمهم الفصاحة، ويجعل الجبان شجاعاً، والبخيل كريماً، كما انه يعلمهم مكارم الأخلاق.[١٣١] وسنجد الدعوة إلى اتخاذ الشعر وسيلة للتعليم والتأديب في عصر بني أمية بدءاً بمعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما).

أن موقف ابن عباس من شعر عمر بن أبي ربيعة له دلالته في أن إنشاد الشعر والإعجاب به وتذوقه لم يكن محصوراً في ذلك الاتجاه القائم على القواعد الخلقية فحسب وانما برز اتجاه آخر، بجانب الاتجاه الذي يهتم بالمضمون الخلقي التعليمي. ولا يعني هذا استجادة الشعر الفاحش الماجن أو الشعر الذي يخالف الدين والحق فهذا اتجاه لم يتبلور بعد، وإنما يعني شيئاً من التسامح في الاستماع إلى شعر يتناول قضايا انسانية عامة، فابن عباس لم يزل على نهج الراشدين حين ينظر إلى الشعر من زاوية شيوع الحق والعدل والفضيلة في المجتمع المسلم وانتفاء الشر والأحقاد عنه. وليس أدل على هذا من موقفه من الهجاء المقذع الذي نهى عنه الإسلام وحذر منه الرسول ﷺ، وشدد فيه عمر من بعده وعاقب عليه، يقول ابن عباس موجهاً خطابه إلى الحطيئة مبيناً له انتشار ضرر الهجاء على المجتمع: "لا يصلح الهجاء لأنه لا بد أن تهجو غيره من عشيرته، فتظلم من لم يظلمك، وتشتم من لم يشتمك، وتبغى على من لم يبغ عليك، والبغي مرتع وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل، ثم يقول له: أقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً"[١٣٢] ويبدو أن الحطيئة لم يكن يعيش في عصره، فقد واصل سياسته على النهج الجاهلي في الهجاء والشر، وكأنه كان صوتاً نشازاً مع أقرانه الهجائيين، في ذلك المجتمع الذي تأصل فيه النظام والحكومة والدولة وسادت فيه الفضيلة وانتشر العدل، فكان لا بد من تأديب أولئك الذين يسيئون

---

[١٢٨] ابن رشيق، العمدة، ج١، مرجع سابق، ص١٧. 122.

[١٢٩] المرجع السابق. 123.

[١٣٠] المرجع السابق، ص١٦ 124.

[١٣١] المرجع السابق، ص١٧. 125.

[١٣٢] الأصفهاني، الأغاني ج٢، مرجع سابق، ص١٩٢، ١٩٣. 126.

حرياتهم ويتجاوزونها للإضرار وظلم الآخرين وهذا ما فعله عمر مع الحطيئة وأشباهه، غير أن الحطيئة نفسه قد أدرك الذي لحقه منه فقصر بشاعريته، وأكد ما ذهبنا إليه من أن الحطيئة كان يعيش بمشاعره وشعره في العصر الجاهلي. يقول لابن عباس في ذلك المجلس: (والله يا ابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين فأما الباقون فلا شك أني أشعرهم وأصردهم سهماً إذا رميت)[١٣٣] فقد دفعه الجشع والطمع إلى الهجاء، وقد يكون أشعر الباقين كما زعم، لكن ليس في الهجاء الذي لم يعد مقبولاً كل القبول في ذلك الزمن وسبب له ولغيره كثيراً من الحرج. فالهجاء منه ما يفسد العلاقات الاجتماعية ويثير الإحن والأحقاد وفيه ظلم للأبرياء، كما أوضح ابن عباس في وصيته للحطيئة. ولكن الحطيئة بما عرف عنه وطبع عليه من شر لا يدرك هذه المعاني ولا تستجيب لها نفسه، ولعل هذا ما يفسر لنا لماذا اقسم ابن عباس بقوله: "وأقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً" فلعل الشاعر يستحي من ابن عباس ويقلع عن شر الهجاء إكراماً لهذا الحبر الجليل.

خاتمة عن نقد الشعر في صدر الإسلام:

خلاصة ما نخرج به من هذه النظرة الموجزة عن نقد الشعر في ذلك العصر:

١. أن الإسلام المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كان له الأثر الواضح في تقويم الشعر آنذاك وفيما تلاه من عصور. هذا الأثر يتمثل في اتجاهين صرح بهما القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومن ثم قامت القاعدة والأسس في تقويم الشعر حينئذ. فالقرآن الكريم جاء فيه عن الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (سورة الشعراء- ٢٢٤-٢٢٧)

٢. السنة النبوية بما جاء فيها من احاديث صنفت الشعر تبعاً لما ورد في القرآن الكريم إلى "الشعر الحسن والشعر القبيح" ومقياسها للحسن والقبيح هو موافقة الحق أو مخالفته، والحق هو ما جاء به الإسلام. فالشعر الحسن هو الذي يلتزم بتعاليم الإسلام ويخدم الدعوة إليه والشعر القبيح هو عكس ذلك تماما. ومن هنا جاء توجيه الإسلام للشعراء لكي يدافعوا عن العقيدة ويردوا على المشركين، ويدعو للفضائل ومكارم الأخلاق. فلا غرو بعد ذلك أن يكون الشعر وسيلة للتربية بما اشتمل عليه من التزام بالإسلام أو بما اشتمل عليه من حكم وأمثال ودعوة إلى المثل العليا ومكارم الأخلاق التي أقرها الإسلام. وعلى العكس من هذا نجد الشعر القبيح الذي يثير الإحن والأحقاد، ويشيع الفساد ويدعو إلى الرذيلة ويشجع عليها، في المجتمع الذي يحل فيه. وتمثل لنا ذلك الشعر في أغراض مثل الهجاء المقذع والتمدح بشرب الخمر ووصفها والدعوة إلى اللهو والبطالة وإشاعة الغزل الفاحش والتشبيب، والدعوة إلى العصبية القبلية، إلى غير ذلك مما تعرضنا له من أمثله.

٣. وتبعاً لهذه الأسس جاءت مواقف النبي ﷺ وملاحظاته وتوجيهاته عن الشعر والشعراء. فتشجيعه لحسان وإخوانه من شعراء المسلمين للرد على الكفار، وإعجابه بقصيدة (بانت سعاد) في مدحه وعفوه عن صاحبها كعب بن زهير، واستحسانه لأبيات من شعر لبيد وطرفة، وقتيلة بنت النضر والنابغة الجعدي، وكعب بن مالك وابن رواحه، كل هذا يدخل في نطاق تقويمه للشعر الحسن، وإهداره لدماء الشعراء المشركين

[١٣٣] المرجع السابق، ص١٩٢، ١٩٣. 127.

الذين أظهروا العداوة للإسلام، ونهيه عن الهجاء المقذع، ونهيه عن إنشاد شعر المشركين في رثاء من قتل منهم، وشعر الأعشى في تفضيل عامر على علقمة بن علاثة وقوله في امرئ القيس حامل لواء الشعراء إلى النار، وغير ذلك، فهذا يدخل في باب نقده "للشعر القبيح".

٤. جاءت مواقف خلفائه وصحابته من بعده عن الشعر. فنجد تشجيع عمر على تعلم الشعر لما فيه من مكارم الأخلاق، واستحسانه لبيت سحيم الذي ذكر فيه الإسلام، ورضاه عن لبيد لانصرافه عن قول الشعر إلى القرآن الكريم، وإعجابه بزهير لما في شعره من الصدق، وهذا كله مما ينضوي تحت لواء "الشعر الحسن". ثم نجد نهيه عن الهجاء المقذع وتشديد العقوبة فيه، ونهيه عن شعر الخمر، ونهيه عن إنشاد النقائض بين شعراء الأنصار ومشركي قريش، وتخويفه لسحيم بأنه مقتول حين سمع بيته الذي أفحش فيه، ونقده لأبيات طرفة بن العبد في الدعوة إلى الملذات، فهذا كله يدخل في باب نقده "للشعر القبيح".

ثم إنا وجدنا بجانب هذا المقياس الذي يتصل بالحق، مقاييس أخرى، قد تتصل بالطبع وعدم التكلف في القول والعمل. فالقرآن الكريم ذم التكلف، والنبي ﷺ يقول: "أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف"[١٣٤] وقال: "أبغضكم إلى الثرثارون المتشدقون المتفيهقون"[١٣٥] فالبعد عن التكلف وعن التعقيد كان مقياساً لجودة الشعر كما وجدنا عند عمر في نقده لشعر زهير، والإمام على في نقده لشعر امرئ القيس.

٥. وقد يجتمع مقياس الالتزام بالحق بمقياس آخر وهو الإيجاز كما وجدنا في إعجابهم بأبيات مفردة من شعر لبيد وطرفة وزهير وعبدة بن الطبيب، وكلها أبيات تميزت بالإيجاز في العبارة والصدق في المعنى والقوة في الدلالة.

وهناك مقياس في تقويم الشعر يتصل بقوة التعبير والتأثير في نفوس السامعين مما يثير فيهم أحاسيس ومشاعر مثل العطف والشفقة، وهذا ما وجدناه في أبيات قتيلة بنت النضر أو أخته.

ثم وجدنا مقياس الموازنة الذي أشار إليه الإمام على، وهذا المقياس وإن قام عليه كثير من النقد في الجاهلية، إلا أن الإمام وضع له قواعد يقوم عليها إذا لم توجد فان الموازنة لا يمكن إجراؤها بين الشعراء.

٤. ثم أخيراً نجد عند ابن عباس تأكيداً لأثر الشعر مصدراً للمعرفة والعلم حين بدأ توظيف الشعر في خدمة القرآن الكريم، ورأينا كذلك ظهور مقاييس غير معلنة في استجادة الشعر لأسباب فنية لم يفصح عنها آذنت بمرحلة جديدة في نقد الشعر وتذوقه، ولعل هذا أظهر ما يكون من موقف ابن عباس من شعر عمر بن أبي ربيعة. وهذه المقاييس الفنية لم تكن معدومة، فقد نتلمسها في نقد أبي بكر واستحسانه لشعر النابغة الذبياني، وفي جوانب من نقد عمر لشعر زهير، وفي تفضيل أبي الأسود الدؤلي لأبي داؤود الإيادي في شعره الذي أنشده له، وفي تقديم الإمام على ومن قبله حسان لامرئ القيس.

ويظل نقد الشعر في صدر الإسلام يقوم في أساسه مع وجود تلك المقاييس الثانوية على مقياس الصدق وموافقة الحق إزاء ما حسن من الشعر وما قبح منه، وما وافق الحق وما خالفه.

المصادر والمراجع

---

[١٣٤] الغزالي، أبو حامد(د.ت) إحياء علوم الدين، دار الشعب، مصر، ص١٥٥٩، نقلاً عن وليد القصاب، نصوص النظرية النقدية، مرجع سابق، ص٥٣ .128

[١٣٥] المرصفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل ص٣، ٤، ٥، والزبيدي ، اتحاف السادة، ج٨، ص٣٤٣، مراجع سابقة. .129

- **القرآن الكريم**

١. الزبيدي، مرتضى(د.ت) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،ج٧، دار الفكر، بيروت .

٢. الزمخشري ، محمود بن عمر(د.ت) الكشاف، دار المعرفة، بيروت.

٣. الشيباني، الشافعي الإمام عبد الرحمن(د.ت) تمييز الطيب من الخبيث ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤. قصاب، وليد(١٩٨٧) نصوص النظرية النقدية، المكتبة الحديثة.

٥. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(١٤٢٠هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط١،ج١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

٦. ابن رشيق، أبو علي الحسن(١٩٣٤م) العمدة في محاسن وآدابه ونقده، تحقيق محمود محمد شاكر، د.ن، القاهرة. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(د.ت) صحيح البخاري، تقديم: الشيخ أحمد محمد شاكر، ج٨، دار الفكر مصورة عن طبعة دار الطباعة، استنبول.

٧. الجرجاني، عبد القاهر(١٩٦٩م) دلائل الاعجاز، القاهرة.

٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث(د.ت) سنن أبي داود، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩. ابن كثير، اسماعيل (١٩٩٨م) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ط٨، دار الحديث، القاهرة.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل(١٩٨١م) الأدب المفرد، تحقيق: محمد هشام البرهاني ، وزارة العدل والشؤون والأوقاف، أبو ظبي.

١١. علي بن أبي بكر، الهيتمي(١٩٨٦م) مجمع الزوائد ، ج١، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت.

١٢. ابن عبد ربه، عمر أحمد(١٩٤٠م) العقد الفريد، ج٥، القاهرة .

١٣. أحمد يوسف (١٩٨٣م) نشأة النقد الأدبي حتى نهاية القرن الأول الهجري، القاهرة.

١٤. عز الدين الامين، (١٩٦٥م) طلائع النقد العربي ط١، د.ن، الخرطوم.

١٥. ابن هشام، عبد الملك، (١٩٩٢م) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، بيروت .

١٦. نصر، محمد إبراهيم،(١٣٩٨هـ) النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، د.ن.

١٧. السيوطي، جلال الدين(د.ت) شرح شواهج المغني،ج١، لجنة التراث، بيروت.

١٨. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف(١٩٦٢م) بهجة المجالس وأنس الجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ج٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

١٩. المرزباني، أبو عبيد الله محمد (١٩٦٠م) معجم الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، البابي الحلبي، مصر.

٢٠. القرشي، محمد بن الخطاب(١٩٨٢م) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٢١. عبد الله، محمد حسن(١٩٧٥م) مقدمة في النقد الأدبي، الكويت، دار البحوث العلمية.

٢٢. الجاحظ، عمرو بن بحر(١٩٤٨م) البيان والتبيين، ج٤، د.ن، القاهرة .

٢٣. البغدادي، عبد القادر(١٩٧٩م) خزانة الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢،ج١، مكتبة الخانجي القاهرة.

٢٤. البيهقي، إبراهيم بن محمد(١٩٧٠م) المحاسن والمساوئ ، دار صادر، بيروت.

٢٥. Cantarino , Vicen (1975) Arbic poetice in the Golden Age , leiden

٢٦. ثعلب ، أحمد بن يحيي(د.ت) مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط٢، ج٢، دار المعارف.

٢٧. ابن سلام ، محمد (د.ت) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

٢٨. المرصفي، سيد بن علي(١٩٢٧م) رغبة الآمل من كتاب الكامل، ج٣، د.ن، القاهرة.

٢٩. السيوطي، جلال الدين (د.ت) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد الفضل إبراهيم، ج٢، عيسى البابي الحلبي، مصر.
٣٠. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله (١٩٣٢م) الشعر والشعراء ، دار المعارف، مصر.
٣١. ابن منظور، محمد بن مكرم(د.ت) لسان العرب، مادة عظل، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت .
٣٢. قدامة بن جعفر (١٩٥٦م) نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى: مكتبة الخانجي، مصر.
٣٣. الغزالي ، أبو حامد(د.ت) إحياء علوم الدين، دار الشعب، مصر.